

بسم الله الرحمن الرحيم
خطبة المفسر حمدا لمن جعل
روح معاني الأكوان تفسيرا
لآيات قدرته وصير نقوش
أشباح الأعيان بيانا لبينات
وحدته وأظهر من غيب هويته
قرآنا غدا فرقانه كشافا عن
فرق الكتب الألهية الغياهب
وأبرز من سجد الوهيته نروا
أشرق على مرايا الكائنات
بحسب مزايا الإستعدادات
فأتضحت من معالم العوالم
المراتب وصلاة وسلاما على
أول ذرة أضاءت من الكنز
المخفي في ظلمة عماء القدم

فأبصرتها عين الوجود وعلة
إيجاد كل ذرة برأتها يد الحكيم
إذ تردت في هوة العدم فعادت
ترفل بأردية كرم وجود مهبط
الوحي الشفاهي الذي أرتفع
رأس الروح الأمين بالهبوط
إلى موطنيء أقدامه ومعدن
السر الألهي الذي أنقطع فكر
الملا الأعلى دون ذكر الوصول
إلى أدنى مقامه فهو النبي
الذي أبرزه مولاه من ظهور
الكمون إلى حواشي متون
الظهور ليكون شرحا لكتاب
صفاته وتقريرا ورفعاه
بتخصيصه من بين العموم

بمظهرية سره المستور وأنزل
عليه قرآنا عربيا غير ذي عوج
ليكون للعالمين نذيرا وشق له
من أسمه ليجله فذو العرش
محمود وهذا محمد وعلى آله
وأصحابه مطالع أنوار التنزيل
ومغارب أسرار التأويل الذين
دخلوا عكاظ الحقائق
بالوساطة المحمدية فما برحوا
حتى ربحوا فباعوا نفوسا
وشروا نفيسا وقطعوا أسباب
العلائق بالهمم الحقيقية فما
عرجوا حتى عرجوا فلقوا
عزيزا وألقوا خسيسا فهم
النجوم المشرقة بنور الهدى

والرجوم المحرقة لشياطين
الردى رضى الله عنهم
وأرضاهم وإلى متبعيهم
وأولاهم ما سرحت روح
المعاني في رياض القرآن
وسبحت أشباح المباني في
حياض العرفان (أما بعد
(فيقول عيبة العيوب وذنوب
الذنوب أفقر العباد إليه عز
شأنه مدرس دار السلطنة
العلية ومفتي بغداد المحمية
أبو الثناء شهاب الدين السيد
محمود الألوسي البغدادي
عفي عنه أن العلوم وإن
تباينت أصولها وغربت

وشرقت فصولها وأختلفت
أحوالها وأتهمت وأنجدت
أقوالها وتنوعت أبوابها
وأشأمت وأعرقت أصحابها
وتغايرت مسائلها وأيمننت
وأيسرت وسائلها فهي بأسرها
مهمة ومعرفتها على العلات
نعمة إلا أن أعلاها قدرا وأغلاها
مهرًا وأسناها مبني وأسماها
معنى وأدقها فكرا وأرقها سرا
وأعرقها نسبا وأعرفها أبا
وأقومها قِيلا وأقواها قِيلا
وأحلاها لسانا وأجلاها بيانا
وأوضحها سبيلا وأصحها دليلا
وأفصحها نطقا وأمنحها رفقا

العلوم الدينية والفهوم اللدنية
فهي شمس ضحاها وبدر
دجاها وخال وجنتها ولعس
شفتها ودعج عيونها وغنج
جفونها وحبب رضاها وتنهد
كعابها ورقة كلامها ولين
قوامها على نفسه فليك من
ضاع عمره وليس له منها
نصيب ولا سهم فلا ينبغي
لعاقل أن يستغرق النهار
والليل إلا في غوص بحارها أو
يستنهض الرجل والخيـل إلا في
سبر أغوارها أو يصرف نفائس
الأنفاس إلا في مهـور أبكارها
أو ينفق بدر الأعمار إلا لتشوف

بدر اسرارها إذا كان هذا الدمع
يجري صباية على غير سمي
فهو دمع مضيع وإن من ذلك
علم التفسير الباحت عما
أراده الله سبحانه بكلامه
المجيد الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد فهو
الحبل المتين والعروة الوثقى
والصراط المبين والوزر
الأقوى والأوقى وإني والله
تعالى المنة مذ ميطت عني
التمائم ونيطت على رأسي
العمائم لم أزل متطلبا
لإستكشاف سره المكتوم

مترقباً لإرتشاف رحيقه
المختوم طالما فرقت نومي
لجمع شوارده وفارقت قومي
لو صال خرائده فلو رأيتني وأنا
أصافح بالجبين صفحات
الكتاب من السهر وأطالع إن
أعوز الشمع يوما على نور
القمر في كثير من ليالي
الشهر وأمثالي إذ ذاك يرفلون
في مطارف اللهو ويرقلون
في ميادين الزهو ويؤثرون
مسرّات الأشباح على لذات
الأرواح ويهبون نفائس الأوقات
لنهب خسائس الشهوات وأنا
مع حذائة سني وضيق عطني

لا تغرني حالهم ولا تغيرني
أفعالهم كأن لبني لمبانتني
ووصل سعدى سعادتني حتى
وقفت على كثير من حقائقه
ووفقت لحل وفير من دقائقه
وثقبت والثناء لله تعالى من
دره بقلم فكري درأ مثننا ولا
بدع فأننا من فضل الله
الشهاب وأبو الثنا وقبل أن
يكمل سني عشرين جعلت
أصدق به وأصدق وشرعت
أدفع كثيرا من إشكالات
الأشكال وأدفع وأتجاهر بما
ألهمني ربي مما لم أظفر به
في كتاب من دقائق التفسير

وأعلق على ما أغلق مما لم
تعلق به ظفر كل ذي ذهن
خطير ولست أنا أول من من
الله تعالى عليه بذلك ولا آخر
من سلك في هاتيك المسالك
فكم وكم للزمان ولد مثلي
وكم تفضل الفرد عز شأنه
على كثير بأضعاف فضلي ألا
إنما الأيام أبناء واحد وهذي
الليالي كلها أخوات إلا أن
رياض هذه الأعصار عراها
إعصار وحياض تيك الأمصار
اعتراها إعتصار فصار العلم
بالعيوق والعلماء أعز من بيض
الأنوق والفضل معلق بأجنحة

النسور وميت حي الأدب لا
يرجي له نشور كأن لم يكن
بين الحجون إلى الصفا أنيس
ولم يسمر بمكة سامر ولكن
الملك المنان أبقي من فضله
الكثير قليلا من ذوي العرفان
في هذه الأزمان دينهم إقتناص
الشوارد وديدنهم إفتضااض
أبكار الفوائد يروون فيروون
ويقدحون فيورون لكل منهم
مزية لا يستتر نورها ومرتبة لا
ينتثر نورها طالما أقتطفت من
أزهارهم وأقتبست من
أنوارهم وكم صدر منهم
أودعت علمه صدري وخبير

فيهم أفنيت في فوائده حبري
ولم أزل مدة على هذه الحال
لا أعبأ بما عبالى مما قيل أو
يقال كتاب الله لي أفضل
مؤانس وسميري إذا أحلولكت
ظلمة الحنادس نعم السميع
كتاب الله إن له حلاوة هي
أحلى من جنى الضرب به
فنون المعاني قد جمعن فما
تفتتر من عجب إلا إلى عجب
أمر ونهي وأمثال وموعظة
وحكمة أودعت في أفصح
الكتب لطائف يجتليها كل ذي
بصر وروضة يجتنيها كل ذي
أدب وكانت كثيرا ما تحدثني

في القديم نفسي إن أحبس
في قفص التحرير ما أصاده
الذهن بشبكة الفكر أو أختطفه
بان الإلهام في جو حدسي
فأتعلل تارة بتشويش البال
بضيق الحال وأخرى بفرط
الملال لسعة المجال

إلى أن رأيت في بعض ليالي
الجمعة من رجب الأصم سنة
الألف والمائتين والأثنتين
والخمسين بعد هجرة النبي ﷺ
رؤية لا أعدها أضغاث أحلام ولا
أحسبها خيالات أوهام إن الله
جل شأنه وعظم سلطانه
أمرني بطي السموات والأرض

ورثق فتقهما على الطول
والعرض فرفعت يدا إلى
السماء وخفضت الأخرى إلى
مستقر الماء ثم أُنْتَبِهت من
نومتي وأنا مستعظم رؤيتي
فجعلت أفتفش لها عن تعبير
فرايت في بعض الكتب أنها
إشارة إلى تاليف تفسير
فرددت حينئذ على النفس
تعللها القديم وشرعت
مستعينا بالله تعالى العظيم
وكأنني إن شاء الله تعالى عن
قريب عند إتمامه بعون عالم
سري ونجواي أنادي وأقول
غير مبال بتشنيع جهول هذا

تأويل رؤياي وكان الشروع في
الليلة السادسة عشرة من
شعبان المبارك من السنة
المذكورة وهي السنة الرابعة
والثلاثون من سني عمري
جعلها الله تعالى بسني لطفه
معمورة وقد تشرف الذهن
المشتت بتأليفه وأحكمت
غرف مغاني المعاني بمحكم
ترصيفه زمن خلافة الله
الأعظم وظله المبسوط على
خليقته في العالم مجدد نظام
القواعد المحمدية ومحدد
جهات العدالة الإسلامية سورة
الحمد الذي أظهره الرحمن

في صورة الملك لكسر سورة
الكافرين وآية السيف الذي
عوده الفاطر الفتح والنصر
وأيده بمرسلات المذاريات في
كل عصر فويل للمنافقين من
نازعات أرواحهم إذا عبس
صمصام عزمه المتين حضرة
مولانا السلطان ابن السلطان
سلطان الثقلين وخادم
الحرمين المجدد الغازي
محمود خان العدلي بن
السلطان عبدالحميد خان أیده
الرحمن وأبد ملكه ما دام
الدوران أمين وبعد أن أبرمت
حبل النية ونشرت مطوى

الأمنية وعرا المخاض قريحة
الأذهان وقرب ظهور طفل
التفسير للعيان جعلت أفكر ما
أسمه وبماذا أدعوه إذا وضعته
أمه فلم يظهر لي أسم تهتشن
له الضمائر وتبتش من سماعه
الخواطر فرعزت الحال لدى
حضرة وزير الوزراء ونور
حديقة البهاء ونور حديقة
الوزراء آية الله التي لا تنسخها
آية ورب النهي الذي ليس له
نهاية وصاحب الأخلاق التي
ملك بها القلوب ومعدن
الأذواق التي يكاد أن يعلم معها
الغيوب مولانا علي رضا باشا لا

زال له الرضا غطاء وفراشا
فسماه على الفور وبديهة ذهنه
تغنى عن الغور (روح المعاني
في تفسير القرآن العظيم
والسبع المثاني) فياله أسم ما
أسماه نسأل الله تعالى أن
يطابقه مسماه وأحمد الله
تعالى حمدا غضا وأصلي
وأسلم على نبيه النبيه حتى
يرضى وقد أن وقت الشروع
في المقصود مقدما عليه
فوائد يليق أن تكتب بسواد
العيون على صفحات الخدود
فأقول (الفائدة الأولى) في

معنى التفسير والتأويل وبيان
الحاجة إلى هذا العلم وشرفه
أما معناهما فالتفسير تفعيل
من الفسر وهو لغة البيان
والكشف والقول بأنه مقلوب
السفر مما لا يسفر له وجه
ويطلق التفسير على التعرية
للإنطلاق يقال فسرت الفرس
إذا عريته لينطلق ولعله يرجع
لمعنى الكشف كما لا يخفى
بل كل تصاريف حروفه لا تخلو
عن ذلك كما هو ظاهر لمن
أمعن النظر
ورسموه بأنه علم يبحث فيه
عن كيفية النطق بالفاظ

القرآن ومدلولاتها وأحكامها
الإفرادية والتركيبية ومعانيها
التي تحمل عليها حالة التركيب
وتتمتات لذلك كمعرفة النسخ
وسبب النزول وقصة توضح ما
أبهم في القرآن ونحو ذلك
والتأويل من الأول وهو الرجوع
والقول بأنه من الآيالة وهي
السياسة كأن المؤول للكلام
ساس الكلام ووضع المعنى
فيه موضعه ليس بشيء
وأختلف في الفرق بين
التفسير والتأويل فقال أبو
عبيدة هما بمعنى وقال
الراغب التفسير أعم وأكثر

إستعماله في الألفاظ
ومفرداتها في الكتب الألهية
وغيرها والتأويل في المعاني
والجمل في الكتب الألهية
خاصة وقال الماتريدي
التفسير القطع بأن مراد الله
تعالى كذا والتأويل ترجيح أحد
المحتملات بدون قطع وقيل
التفسير ما يتعلق بالرواية
والتأويل ما يتعلق بالدراية
وقيل غير ذلك وعندي أنه إن
كان المراد الفرق بينهما
بحسب العرف فكل الأقوال
فيه ما سمعتها وما لم تسمعها
مخالفة للعرف اليوم إذ قد

تعارف من غير نكير أن التأويل
إشارة قدسية ومعارف
سبحانية تنكشف من سجع
العبارات للسالكين وتنهل من
سحب الغيب على قلوب
العارفين والتفسير غير ذلك
وإن كان المراد الفرق بينهما
بحسب ما يدل عليه اللفظ
مطابقة فلا أظنك في مرية
من رد هذه الأقوال أو بوجه ما
فلا أراك ترضى إلا أن في كل
كشف إرجاعا وفي كل إرجاع
كشفا فافهم وإما بيان الحاجة
إليه فلأن فهم القرآن العظيم
المشتمل على الأحكام

الشرعية التي هي مدار
السعادة الأبدية وهو العروة
الوثقى والصراط المستقيم
أمر عسير لا يهتدي إليه إلا
بتوفيق من اللطيف الخبير
حتى أن الصحابة رضي الله
تعالى عنهم على علو كعبهم
في الفصاحة وإستنارة
بواطنهم بما أشرق عليها من
مشكاة النبوة كانوا كثيرا ما
يرجعون إليه بالسؤال عن
أشياء لم يعرجوا عليها ولم
تصل أفهامهم إليها بل ربما
التبس عليهم الحال ففهموا
غير ما أراده الملك المتعال

كما وقع لعدي بن حاتم في
الخيطة الأبيض والأسود ولا شك
أنا محتاجون إلى ما كانوا
محتاجين إليه وزيادة (وأما
بيان شرفه (فلان شرف
العلم بشرف موضوعه
وشرف معلومه وغايته وشدة
الإحتياج إليه وهو حائز لجميعها
فإن موضوعه كلام الله تعالى
وماذا عسى أن يقال فيه
ومعلومه مع أنه مراد الله
تعالى الدال عليه كلامه جامع
للعقائد الحقّة والأحكام
الشرعية وغيرها وغايته
الإعتصام بالعروة الوثقى التي

لا انفصام لها والوصول إلى
سعادة الدارين وشدة الإحتياج
إليه ظاهرة مما تقدم بل هو
رئيس جميع العلوم الدينية
لكونها مأخوذة من الكتاب
وهي تحتاج من حيث الثبوت أو
من حيث الإعتداد إلى علم
التفسير وهذا لا ينافي كون
الكلام رئيسها أيضا لأن علم
التفسير لتوقفه على ثبوت
كونه تعالى متكلما يحتاج إلى
الكلام والكلام لتوقف جميع
مسائله من حيث الثبوت أو
الإعتداد على الكتاب يتوقف
على التفسير فيكون كل منهما

رئيسا للآخر من وجه على أن
رياسة التفسير بناء على ذلك
الشرف مما لا ينتطح فيه
كبشان وأما الآثار الدالة على
شرفه فكثيرة أخرج ابن أبي
حاتم وغيره من طريق ابن أبي
طلحة عن ابن عباس في قوله
تعالى (يؤتى الحكمة) قال
المعرفة بالقرآن ناسخه
ومنسوخة ومحكمة ومتشابهة
ومقدمة ومؤخره وحلاله
وحرامه وأمثاله وأخرج أبو
عبدة عن الحسن قال ما أنزل
الله آية إلا وهو يحب أن تعلم
فيما أنزلت وما أراد بها وأخرج

إبن أبي حاتم عن عمرو بن
مرة قال ما مررت بأية لا
أعرفها إلا أحزنتني لأنني
سمعت الله يقول (وتلك
الأمثال نضربها للناس وما
يعقلها إلا العالمون) إلى غير
ذلك (الفائدة الثانية) فيما
يحتاجه التفسير ومعنى
التفسير بالرأي وحكم كلام
السادة الصوفية في القرآن
فأما ما يحتاجه التفسير فأمور
(الأول) علم اللغة لأن به
يعرف شرح مفردات الألفاظ
ومعلولاتها بحسب الوضع ولا
يكفي اليسير إذ قد يكون

اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد
المعنيين والمراد الآخر فمن
لم يكن عالماً بلغات العرب لا
يحل له التفسير كما قاله
مجاهد وينكل كما قاله مالك
وهذا مما لا شبهة فيه نعم روى
عن أحمد أنه سئل عن القرآن
يمثل له الرجل بيت من
الشعر فقال ما يعجبني وهو
ليس بنص في المنع عن بيان
المدلول اللغوي للعارف كما لا
يخفى (الثاني) معرفة
الأحكام التي للكلم العربية من
جهة أفرادها وتركيبها ويؤخذ
ذلك من علم النحو أخرج أبو

عبادة عن الحسن أنه سئل
عن الرجل يتعلم العربية
يلتمس بها أحسن المنطق
ويقوم بها قراءته فقال حسن
فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية
فيها بوجهها فيهلك فيها وفي
قصة الأسود ما يغني عن
الإطالة (الثالث) علم
المعاني والبيان والبدع
ويعرف بالأول خواص تراكيب
الكلام من جهة إفادتها المعنى
وبالثاني خواصها من حيث
إختلافها وبالثالث وجوه
تحسين كلام وهو الركن

الأقووم واللازم الأعظم في هذا
الشان كما لا يخفى ذلك على
من ذاق طعم العلوم ولو
بطرف اللسان (الرابع
) تعيين مبهم وتبيين مجمل
وسبب نزول ونسخ ويؤخذ ذلك
من علم الحديث (الخامس
) معرفة الإجمال والتبيين
والعموم والخصوص والإطلاق
والتقييد ودلالة الأمر والنهي
وما أشبه هذا وأخذه من
أصول الفقه (السادس
) الكلام فيما يجوز على الله
وما يجب له وما يستحيل عليه
والنظر في النبوة ويؤخذ هذا

من علم الكلام وللاه يقع
المفسر في ورطات (السايح
(علم القراءات لأنه به يعرف
كيفية النطق بالقراآن
وبالقراءات ترجح بعض الوجوه
المحتملة على بعض هذا وعد
السيوطي مما يحتاج إليه
المفسر علم التصريف وعلم
الإشتقاق وأنا أظن أن المهارة
ببعض ما ذكرنا يترتب عليهما
من الثمرة وعد أيضا علم
الفقه ولم يعده غيره ولكل
وجهة وعد علم الموهبة أيضا
من ذلك قال وهو علم يورثه
الله تعالى لمن عمل بما علم

وإليه الإشارة بالحديث من
عمل بما علم أورثه الله علم
ما لم يعلم ثم قال ولعلك
تستشكل علم الموهبة وتقول
هذا شيء ليس في قدرة
الإنسان تحصيله وليس كما
ظننت والطريق في تحصيله
إرتكاب الأسباب الموجبة له
من العمل والزهد إلى آخر ما
قاله وفيه أن علم الموهبة بعد
تسليم أنه كسبي إنما يحتاج
إليه في الإطلاع على الأسرار
لا في أصل فهم معاني القرآن
كما يفهمه كلام البرهان وكثير
من المفسرين بصدد الثاني

والواقفون على الأسرار وقليل
ما هم لا يستطيعون التعبير
عن كثير مما أفيض عليهم
فضلاً عن تحريره وإقامة
البرهان عليه على أن ذلك
تأويل لا تفسير فلعل
السيوطي أراد من عبارته
معنى آخر يظهر لك بالتدبر
فتدبر (وأما التفسير بالرأي
(فالشائع المنع عنه وأستدل
عليه بما أخرجه أبو داود
والترمذي والنسائي من قوله «
من تكلم في القرآن برأيه
فأصاب فقد أخطأ وفي رواية
عن أبي داود من قال في

القرآن بغير علم فليتبوا مقعده
من النار ولا دليل في ذلك أما
أو لا فلأن في صحة الحديث
الأول مقالا قال في المدخل
في صحته نظر وإن صح فإنما
أراد به والله تعالى أعلم فقد
أخطأ الطريق إذ الطريق
الرجوع في تفسير ألفاظه إلى
أهل اللغة وفي نحو الناسخ
والمنسوخ إلى الأخبار وفي
بيان المراد منه إلى صاحب
الشرع فإن لم يجد هناك وهنا
فلا بأس بالفكرة ليستدل بما
ورد على ما لم يرد أو أراد من
قال بالقرآن قولا يوافق هواه

بأن يجعل المذهب أصلاً
والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأي
وجه فقد أخطأ فالبراء على ذلك
سببية أو يقال ذلك في
المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله
أو في الجزم بأن مراد الله
تعالى كذا على القطع من غير
دليل وأما الحديث الثاني فله
معنيان الأول من قال في
مشكل القرآن بما لا يعلم فهو
متعرض لسخط الله تعالى
والثاني وصح من قال في
القرآن قولاً يعلم أن الحق
غيره فليتبوا مقعده من النار
وأما ثانياً فلأن الأدلة على جواز

الرأي والإجتهد في القرآن
كثيرة وهي تعارض ما يشعر
بالمُنع فقد قال تعالى (ولو
ردوه إلى الرسول وإلى أولي
الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم) وقال تعالى
(أفلا يتدبرون القرآن أم على
قلوب أقفالها) وقال تعالى
(كتاب أنزلناه إليك مبارك
ليدبروا آياته وليتذكر أولو
الألباب) وأخرج أبو نعيم
وغیره من حديث ابن عباس
القرآن ذلول ذو وجوه
فأحملوه على أحسن وجوهه
وقد دعا رسول الله ﷺ لابن

عباس بقوله اللهم فقهه في
الدين وعلمه التأويل وقد روى
عن علي كرم الله وجهه أنه
سئل هل خصكم رسول الله ﷺ
بشيء فقال ما عندنا غير ما
في هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه
الرجل في كتابه إلى غير ذلك
مما لا يحصى كثرة والعجب
كل العجب مما يزعم أن علم
التفسير مضطر إلى النقل في
فهم معاني التراكيب ولم ينظر
إلى إختلاف التفاسير وتنوعها
ولم يعلم أن ماورد عنه ﷺ في
ذلك كالكبريت الأحمر فالذي

ينبغي أن يعول عليه أن من
كان

متبحرا في علم اللسان مترقيا
منه إلى ذوق العرفان وله في
رياض العلوم الدينية أو في
مرتع وفي حياضها أصفى
مكرع يدرك أعجاز القرآن
بالوجدان لا بالتقليد وقد غدا
ذهنه لما أغلق من دقائق
التحقيقات أحسن إقليد فذاك
يجوز له أن يرتقى من علم
التفسير ذروته ويمتطي منه
صهوته وأما من صرف عمره
بوساوس أرسطاطاليس
وأختار شوك القنافذ على

ريش الطواويس فهو بمعزل
عن فهم غوامض الكتاب
وإدراك ما تضمنه من العجب
العجاب وأما كلام السادة
الصوفية في القرآن فهو من
باب الإشارات إلى دقائق
تنكشف على أرباب السلوك
ويمكن التطبيق بينها وبين
الظواهر المرادة وذلك من
كمال الإيمان ومحض العرفان
لا أنهم أعتقدوا أن الظاهر غير
مراد أصلاً وإنما المراد الباطن
فقط إذ ذاك إعتقاد الباطنية
الملاحدة توصلوا به إلى نفي
الشريعة بالكلية وحاشى

سادتنا من ذلك كيف وقد
حضوا على حفظ التفسير
الظاهر وقالوا لا بد منه أولا إذ
لا يطمع في الوصول إلى
الباطن قبل أحكام الظاهر
ومن ادعى فهم أسرار القرآن
قبل أحكام التفسير الظاهر
فهو كمن ادعى البلوغ إلى
صدر البيت قبل أن يجاوز
الباب ومما يؤيد أن للقرآن
ظاهرا وباطنا ما أخرجه ابن
أبي حاتم من طريق الضحاك
عن ابن عباس قال القرآن ذو
شجون وفنون وظهور وبطون
لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته

فمن أوغل فيه برفق نجا ومن
أوغل فيه بعنف هوى أخبار
وأمثال وحلال وحرام وناسخ
ومنسوخ ومحكم ومتشابه
وظهر وبطن فظهره التلاوة
وبطنه التأويل فجالسوا به
العلماء وجانبوا به السفهاء
وقال ابن مسعود من أراد علم
الأولين والآخرين فليتل القرآن
ومن المعلوم أن هذا لا يحصل
بمجرد تفسير الظاهر وقد قال
بعض من يوثق به لكل آية
ستون ألف فهم وروى عن
الحسن قال قال رسول الله ﷺ
لكل آية ظهر وبطن ولكل

حرف حد ولكل حد مطلع قال
إبن النقيب أن ظاهرها ما ظهر
من معانيها لأهل العلم بالظاهر
وباطنها ما تضمنته من الأسرار
أتي أطلع الله تعالى عليها
أرباب الحقائق ومعنى قوله
ولكل حرف حد أن لكل حرف
منتهي فيما أراده الله تعالى
من معناه ومعنى قوله ولكل
حد مطلع أن لكل غامض من
المعاني والأحكام مطالعا
يتوصل به إلى معرفته ويوقف
عن القدر يكفي بعد ذلك في
المقصود كما لا يخفى على من
لم يركب مطية الجحود المراد

به وقيل في رواية لكل آية
ظهر وبطن وحد ومطلع
والمذكور بوساطة الألفاظ
وتأليفاتها وضعا وإفادة وجعلها
طرقا إلى إستنباط الأحكام
الخمسة هو الظهر وروح
الألفاظ أعنى الكلام المعتلى
عن المدارك الآلية بجواهر
الروح القدسية هو البطن وإليه
الإشارة بقول الأمير السابق
والحد إما بين الظهر والبطن
يرتقى منه إليه وهو المدرك
بالجمعية من الجمعية وإما بين
البطن والمطلع فالمطلع
مكان الأطلاع من الكلام

النفسي إلى الأسم المتكلم
المشار إليه بقول الصادق لقد
تجلى الله تعالى في كتابه
لعباده ولكن لا يبصرون والحد
بينهما يرتقي به من البطن إليه
عند إدراك الرابطة بين الصفة
والأسم وإستهلاك صفة العبد
تحت تجليات أنوار صفة
المتكلم تعالى شأنه وقيل
الظهر التفسير والبطن التأويل
والحد ما تنهاه إلى الفهوم
من معنى الكلام والمطلع ما
يصعد إليه منه فيطلع على
شهود الملك العلام إنتهى

فلا ينبغي لمن له أدنى مسكة
من عقل بل أدنى ذرة من
إيمان أن ينكر إشمال القرآن
على بواطن يفيضها المبدأ
الفيض على بواطن من شاء
من عباده ويأليت شعري ماذا
يصنع المنكر بقوله تعالى
(وتفصيلاً لكل شيء) وقوله
تعالى (ما فرطنا في الكتاب
من شيء) ويا الله العجب
كيف يقول بإشمال ديوان
المتنبي وأبياته المعاني الكثيرة
ولا يقول بإشمال قرآن النبي ﷺ
وأياته وهو كلام رب العالمين
المنزل على خاتم المرسلين

على ما شاء الله تعالى من
المعاني المحتجة وراء
سرادقات تلك المباني
(سبحانك هذا بهتان عظيم)
بل ما من حادثة ترسم بقلم
القضاء في لوح الزمان إلا
وفي القرآن العظيم إشارة
إليها فهو المشتمل على خفايا
الملك والملكوت وخبايا قدس
الجبروت

وقد ذكر ابن خلكان في تاريخه
أن السلطان صلاح الدين لما
فتح مدينة حلب أنشد القاضي
محيي الدين قصيدة بائية

أجاد فيها كل الإجابة وكان من
جملتها وفحك القلعة الشهباء
في صفر مبشر بفتوح القدس
في رجب فكان كما قال
فسئل القاضي من أين لك هذا
فقال أخذته من تفسير ابن
برجان في قوله تعالى (ألم
غلبت المروم في أدنى الأرض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين) قال المؤرخ
فلم أزل أطلب التفسير
المذكور حتى وجدته على هذه
الصورة وذكر له حسابا طويلا
وطريقا في إستخراجه وله
نظائر كثيرة ومن المشهور

إِستنباط ابن الكمال فتح مصر
على يد السلطان سليم من
قوله تعالى (ولقد كتبنا في
الزبور من بعد الذكر أن الأرض
يرثها عبادي الصالحون)
فالأنصاف كل الإنصاف
التسليم للسادّة الصوفية
الذين هم مركز للدائرة
المحمدية ما هم عليه وإتهام
ذهنك السقيم فيما لم يصل
لكثرة العوائق والعلائق إليه
وإذا لم تر الهلال فسليم لأناس
رأوه بالأبصار وسيأتي تنمة
لهذا البحث إن شاء الله تعالى
والله الهادي إلى سواء السبيل

(الفائدة الثالثة) أعلم أن
لكتاب الله تعالى أسماء أنهاها
شيدلة في البرهان إلى خمسة
وخمسين أسما و ذكر
السيوطي بعد عدها في
الإتقان وجوة تسميته بها ولم
يذكر غير ذلك وعندي أنها كلها
ترجع بعد التأمل الصادق إلى
القرآن والفرقان رجوع أسماء
الله تعالى إلى صفتي الجمال
والجلال فهما الأصل فيها وقد
أختلف الناس في تحقيق لفظ
القرآن فالمروي عن الشافعي
وبه قال جماعة أنه اسم علم
غير مشتق خاص بهذا الكلام

المنزل على النبي المرسل ۞
وهو معرّفا غير مهموز عنده
كما حكاه عنه البيهقي
والخطيب وغيرهما والمنقول
عن الأشعري وأقوام أنه
مشتق من قرنت الشيء إذا
ضممته إليه وسمى به عندهم
لقرآن السور والآيات
والحروف فيه بعضها ببعض
وقال الفراء هو مشتق من
القرائن لأن الآيات فيه يصدق
بعضها بعضا ويشبه بعضها
بعضا وهو على هذين القولين
بلا همز أيضا ونونه أصلية وقال
الزجاج هذا القول غلط

والصواب أن ترك الهمزة فيه
من باب التخفيف ونقل حركتها
إلى ما قبلها فهو عنده وصف
مهموز على فعلاَن مشتق من
القرء بمعنى الجمع ومنه
قرأت الماء في الحوض إذا
جمعته وسمى به لأنه جمع
السور كما قال أبو عبيدة أو
ثمرات الكتب السالفة كما
قال الراغب أو لأن القاريء
يظهره من فيه أخذاً من قولهم
ما قرأت الناقة سلى قط كما
حكى عن قطرب وعند
الليثاني وجماعة هو مصدر
كالغفران سمي به المقروء

تسمية المفعول بالمصدر قال
السيوطي قلت والمختار
عندي في هذه المسألة ما نص
عليه الشافعي رضي الله
تعالى عنه إنتهى وأنا متبري
من حولي أقول قول الزجاج
أرق من وجه إذ الشائع فيه
الهمز وبه قرأ السبعة ما عدا
إبن كثير وقد وجه إسقاطها بما
مر أنفا ولم يوجه إثباتها وكان
قول السيوطي محض تقليد
لإمام مذهبه حيث لم يذكر
الدليل ولم يوضح السبيل
وعندي أنه في الأصل وصف أو
مصدر كما قال الزجاج

واللحياني لكنه نقل وجعل
علما شخصا كما ذهب إليه
الشافعي ومحققو الأصوليين
وعليه لا يعرف القرآن لأن
التعريف لا يكون إلا للحاق
الكلية ولعل من عرفه بالكلام
المنزل للإعجاز بسورة منه
أراد تصوير مفهوم لفظ
القرآن وكذا من قال كالغزالي
أنه ما نقل بين دفتي المصحف
تواترا أراد تخصيص الأسم
بأحد الأقسام الثلاثة مما نقل
بين الدفتين ومما لم ينقل
كالمنسوخ تلاوته نحو إنا أنزلنا
المال لإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة وما نقل ولم يتواتر نحو
ثلاثة أيام متتابعات ليعلم أن
ذلك هو الدليل وعليه الأحكام
من نحو منع التلاوة والمس
محدثا وإلا فيرد على الأول إن
أريد التمييز أن كونه للإعجاز
ليس لازما بينا إذ لا يعرفه إلا
الأفراد من العلماء فضلا

عن أن يكون ذاتيا فكيف يصح
لتعريف الحقيقة وتمييزها وهو
إنما يكون بالذاتيات أو باللوازم
البيئية وأيضا أن معرفة السورة
منه متوقفة على معرفته
فيدور ويرد على الثاني مثل
ثاني ما ورد على الأول إذ

معرفة المصحف موقوفة على
معرفة القرآن إذ ليس هو إلا
ما كتب فيه القرآن فأخذه في
تعريفه دور أيضا هذا وقد قال
ساداتنا الصوفية أفاض الله
تعالى علينا من فتوحاتهم
القدسية أن القرآن إشارة إلى
الذات التي يضمحل بها جميع
الصفات فهي المجلي
المسمى بالأحادية أنزلها الحق
تعالى شأنه على نبيه محمد ﷺ
ليكون مشهد الأحادية من
الأكوان ومعنى هذا الإنزال أن
الحقيقة الأحادية المتعالية في
ذراها ظهرت فيه ﷺ بكمالها وما

أدخر عنه شيء بل أفيض عليه
الكل كرما إليها ذاتيا ووصف
القرآن في بعض الآيات
بالكريم لذلك إذ رأى كرما
يضاهي هذا الكرم وأنى تقاس
هذه النعمة بسائر النعم وأما
القرآن الحكيم فهوية الحقائق
الالهية يعرج العبد بالتحقيق بها
في الذات شيئا فشيئا على ما
أقتضته الحكمة وإلى ذلك
أشار الحق تعالى بقوله
(ورتلناه ترتيلا) وهذا الحكم لا
ينقطع أبدا إذ لا يزال العبد في
ترق والحق في تجل فسبحان
من لا تقيده الأكوان وهو كل

يوم في شأن وأما القرآن
العظيم في قوله تعالى (ولقد
آتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم) فهو إشارة
إلى الجملة الذاتية لا باعتبار
النزول ولا باعتبار المكانة بل
مطلق الأحدية الذاتية التي هي
في مطلق الهوية الجامعة
لجميع المراتب والصفات
والشئون والإعتبارات ولهذا
قرن بالعظيم وأما السبع
المثاني فهو ما ظهر عليه في
وجوده من التحقق بالصفات
السبع وأما قوله تعالى
(الرحمن علم القرآن) فهو

إشارة إلى أن العبد إذا تجلّى
عليه الرحمن وجد لذة رحمانية
تكسبه معرفة قرآنية فلا يعلم
الحق إلا من طريق أسمائه
وصفاته وأما الفرقان عندهم
فإشارة إلى حقيقة الأسماء
والصفات على اختلاف
تنوعاتها فباعتباراتها تتميز كل
صفة وأسم من غيرها فحصل
الفرق في نفس الحق من
حيث أسماءه وصفاته فإن
أسمه المنعم غير أسمه
المنتقم وصفة الرضا غير صفة
الغضب وإليه الإشارة بقوله
سبقت رحمتي غضبي وهي

متفاوتة المراتب في الفضل
نظرا إلى أعيانها لا باعتبار أن
في شيء منها نقصا أو
مفضولية ولهذا حكمت بعضها
على بعض كما يشير إليه قوله
﴿ أعوذ بمعافاتك من عقوبتك
وأعوذ برضاك من سخطك
وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء
عليك فكانت المعافاة أفضل
من العقوبة والرضا أفضل من
السخط فأعاده بالفاضل مما
يليه وكذا أعاده بذاته من ذاته
فكما أن الفرق حاصل في
الأفعال كذلك في الصفات بل
في نفس واحدية الذات التي لا

فرق فيها لكن من غريب
شؤونها جمعها النقيضين قال
أبو سعيد عرفت الله تعالى
بجمعه بين الضدين ولكونه
مظهرا للقرآن والفرقان كان
خاتم النبيين وإمام المرسلين
لأنه ما ترك شيئا يحتاج إليه إلا
وقد جاء به فلا يجد الذي يأتي
بعده من الكمال شيئا مما
ينبغي أن ينبه عليه قال تعالى (
ما فرطنا في الكتاب من شيء
(وقال تعالى (فصلناه تفصيلا
(إلى غير ذلك من الآيات
(وقد يقال (القرآن والفرقان
إشارتان إلى مقام الجمع

والفرق بأقسامها قالوا ولا بد
للعبد الكامل منهما فإن من لا
تفرقة له لا عبودية له ومن لا
جمع له لا معرفة له والجمع
عندهم شهود الأشياء بالله
تعالى والتبري من الحول
والقوة إلا بالله وجمع الجمع
الإستهلاك بالكلية والفناء عما
سوى الله تعالى وهو المرتبة
الأحادية والفرق أنواع فرق أول
وهو الإحتجاب بالخلق عن
الحق وبقاء رسوم الخليفة
بحالها وفرق ثان وهو شهود
قيام الخلق بالحق ورؤية
الوحدة في الكثرة والكثرة في

الوحدة من غير إحتجاب
إحداهما عن الأخرى وفرق
الوصف وهو ظهور الذات
الأحادية بأوصافها في الحضرة
الواحدة وفرق الجمع وهو تكثر
الواحد بظهوره في المراتب
التي هي ظهور شئون الذات
الأحادية وتلك الشئون في
الحقيقة إعتبارات محضة لا
تحقق لها إلا عند بروز الواحد
بصورها وكثيرا ما يطلقون
القرآن على العلم اللدني
الإجمالي الجامع للحقائق كلها
والفرقان على العلم التفصيلي
الفارق بين الحق والباطل

وكتاب الله تعالى جامع لذلك
كله كما لا يخفى على أهله
وذكر الشيخ الأكبر قدس سره
أن القرآن يتضمن الفرقان
والفرقان لا يتضمن القرآن لأن
تفاصيل المراتب والأسماء
المقتضية لها موجودة في
الجمع والجمع لا يوجد في
التفاصيل ولهذا ما أختص
بالقرآن إلا محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم فليفهم
ونسأل الله تعالى أن يلهمنا
رشدنا ويزيل بعلمه جهلنا إنه
على ما يشاء قدير (الفائدة
الرابعة) في تحقيق معنى أن

القرآن كلام الله تعالى غير
مخلوق (أعلم) أن هذه
المسألة من أمهات المسائل
الدينية والمباحث الكلامية كم
زلت فيها أقدام وضلت عن
الحق بها أقوام وهي وإن كانت
مشروحة في كتب المتقدمين
مبسوطة في زير المتأخرين
لكني بحول من عز حوله
وفضل من غمرنا فضله أوردها
في هذا الكتاب ليتذكر أولو
الألباب بأسلوب عجيب
وتحقيق غريب لا أظنك شئفت
سمعك بمثل لأليه ولا نورت
بصرك بشبه بدر لياليه فماء

ولا كصدى ومرعى ولا
كالسعدان وما كل زهر ينبت
الروض طيب ولا كل كحل
لنواظر أتمد (فأقول) إن
الإنسان له كلام بمعنى التكلم
الذي هو مصدر وكلام بمعنى
المتكلم به الذي هو الحاصل
بالمصدر ولفظ الكلام موضوع
لغة لثاني قليلا كان أو كثيرا
حقيقة كان أو حكما وقد
يستعمل استعمال المصدر كما
ذكره الرضي وكل من
المعنيين إما لفظي أو نفسي (
فالأول (من اللفظي فعل
الإنسان باللسان وما يساعده

من المخارج (والثاني) منه
كيفية في الصوت المحسوس
(والأول) من النفسي فعل
قلب الإنسان ونفسه الذي لم
يبرز إلى الجوارح (والثاني
(كيفية في النفس إذ لا صوت
محسوسا عادة فيها وإنما هو
صوت معنوي مخیل أما الكلام
اللفظي بمعنييه فمحل وفاق
وأما النفسي فمعناه الأول
تكلم الإنسان بكلمات ذهنية
وألفاظ مخیلة يرتبها في
الذهن على وجه إذا تلفظ بها
بصوت محسوس كانت عين
كلماته اللفظية ومعناه الثاني

هو هذه الكلمات الذهنية
والألفاظ المخيلة المرتبة ترتيباً
ذهنياً منطبقاً عليه الترتيب
الخارجي والدليل على أن
للنفس كلاماً بالمعنيين الكتاب
والسنة فمن الآيات قوله
تعالى (فأسرّها يوسف في
نفسه ولم يبدّها لهم قال أنتم
شر مكاناً) فإن (قال) بدل
من (أسر) أو إستئنف بياني
كأنه قيل فماذا قال في نفسه
في ذلك الأسرار فقل (قال
أنتم شر مكاناً) وعلى
التقديرين فالآية دالة على أن
للنفس كلاماً بالمعنى

المصدري وقولا بالمعنى
الحاصل بالمصدر وأثمد من
أسر والجملة بعدها وقوله
تعالى (أم يحسبون أنا لا
نسمع سرهم ونجواهم بلى)
وفسر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بما أسره ابن آدم
في نفسه وقوله تعالى (وأذكر
ربك في نفسك) وقوله تعالى
(يخفون في أنفسهم ما لا
يبدون لك يقولون لو كان لنا
من الأمر شيء ما قتلنا ههنا)
أي يقولون في أنفسهم كما هو
الأسرع إنسياقا إلى الذهن
والآيات في ذلك كثيرة ومن

الأحاديث ما رواه الطبراني
عن أم سلمة أنها سمعت
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد سأله رجل
فقال إني لأحدث نفسي
بالشيء لو تكلمت به لأحببت
أجرى فقال لا يلقى ذلك الكلام
إلا مؤمن فسمى صلى الله
تعالى عليه وسلم ذلك الشيء
المحدث به كلاماً مع أنه
كلمات ذهنية والأصل في
الإطلاق الحقيقة ولا صارف
عنها وقوله تعالى في الحديث
القدسي أنا عند ظن عبدي بي
وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني

في نفسه ذكرته في نفسي
الحديث وفيه دليل على أن
للعبد كلاما نفسيا بالمعنيين
وللرب أيضا كلاما نفسيا كذلك
ولكن أين التراب من رب
الأرباب

(فالمعنى الأول) للحق تعالى
شأنه صفة أزلية منافية للآفة
الباطنية التي هي بمنزلة
الخرس في التكلم الإنساني
اللفظي ليس من جنس
الحروف والألفاظ أصلا وهي
واحدة بالذات تعدد تعلقاتها
بحسب تعدد المتكلم به
وحاصل الحديث من تعلق

تكلّمه بذكر اسمي تعلق
تكملي بذكر أسمه والتعلق من
الأمر النسبية التي لا يضر
تجددها وحدوث المتعلق إنما
يلزم في التعلق التنجيزي ولا
ننكره وأما التعلق المعنوي
التقديري ومتعلقه فأزليان
ومنه ينكشف وجه صحة نسبة
السكوت عن أشياء رحمة غير
نسيان كما في الحديث إذ
معناه أن تكلّمه الأزلي لم
يتعلق ببيانها مع تحقق إتصافه
أزلا بالتكلم النفسي وعدم هذا
التعلق الخاص لا يستدعي
إنتفاء الكلام الأزلي كما لا

يخفى (والمعنى الثاني) له
تعالى شأنه كلمات غيبية وهي
ألفاظ حكمية مجردة عن
المواد مطلقا نسبية كانت أو
خيالية أو روحانية وتلك
الكلمات أزلية مترتبة من غير
تعاقب في الوضع الغيبي
العلمي لا في الزمان إذ لا
زمان والتعاقب بين الأشياء
من توابع كونها زمانية ويقربه
من بعض الوجوه وقوع البصر
على سطور الصفحة
المشتملة على كلمات مترتبة
في الوضع الكتابي دفعة فهي
مع كونها مترتبة لا تعاقب في

ظهورها فجميع معلومات الله
الذي هو نور السموات
والأرض مكشوفة له أرلا كما
هي مكشوفة له فيما لا يزال
ثم تلك الكلمات الغيبية
المترتبة ترتبا وضعيا أزليا يقدر
بينها التعاقب فيما لا يزال
والقرآن كلام الله تعالى
المنزل بهذا المعنى فهو
كلمات غيبية مجردة عن
المواد مترتبة في علمه أزلا
غير متعاقبة تحقيقا بل تقديرا
عند تلاوة الألسنة الكونية
الزمانية ومعنى تنزيلها إظهار
صورها في المواد الروحانية

والخيالية والحسية من الألفاظ
المسموعة والذهنية والمكتوبة
ومن هنا قال السنيون القرآن
كلام الله تعالى غير مخلوق
وهو مكتوب في المصاحف
محفوظ في الصدور مقروء
بالألسن مسموع بالأذان غير
حال في شيء منها وهو في
جميع هذه المراتب قرآن
حقيقة شرعية معلوم من
الدين بالضرورة فقولهم غير
حال إشارة إلى مرتبته
النفسية الأزلية فإنه من
الشئون الذاتية ولم تفارق
المذات ولا تفارقها أبدا ولكن

الله تعالى أظهر صورها في
الخيال والحس فصارت
كلمات مخيلة وملفوظة
مسموعة ومكتوبة مرئية
فظهر في تلك المظاهر من
غير حلول إذ هو فرع الانفصال
وليس فليس فالقرآن كلامه
تعالى غير مخلوق وإن تنزل
في هذه المراتب الحادثة ولم
يخرج عن كونه منسوباً إليه
(أما) في مرتبة الخيال
فلقوله ۞ أغنى الناس حملة
القرآن من جعله الله تعالى
في جوفه وأما في مرتبة
اللفظ فلقوله تعالى (وإذ

صرفنا إليك نفرا من الجن
يستمعون القرآن) وأما في
مرتبة الكتابة فلقوله تعالى
(بل هو قرآن مجيد في لوح
محفوظ) وقول الإمام أحمد
لم يزل الله متكلماً كيف شاء
وإذا يشاء بلا كيف إشارة إلى
مرتبتين فالأول إلى كلامه في
مرتبة التجلي والتنزل إلى
مظهر له كقوله ۞ إذا قضى الله
الأمر في السماء ضربت
الملائكة أجنحتها خضعانا لقوله
كأنه سلسلة على صفوان
الحديث والثاني إلى مرتبة
الكلام النفسي إذ كيف من

توابع مراتب التنزلات والكلام
النفسي في مرتبة الذات
مجرد عن المادة فأرتفع
الكيف بإرتفاعها (فالحاصل
(لم يزل الله تعالى متكلماً
وموصوفاً بالكلام من حيث
تجلي ومن حيث لا فمن حيث
تجليه في مظهر لكلامه كيف
وإذا شاء لم يتكلم بما اقتضاه
مظهر تجليه فيكون متكلماً بلا
كيف كما كان ولم يزل
والأشعري إذا حققت الحال
وجدته قائلاً بأن الله تعالى
كلاماً بمعنى التكلم وكلاماً
بمعنى المتكلم به وأنه بالمعنى

الثاني لم يزل متصفاً بكونه
أمراً ونهياً وخبراً فإنها أقسام
المتكلم به وأن الكلام النفسي
بالمعنى الثاني حروفه غير
عارضة للصوت في الحق
والخلق غير أنها في الحق
كلمات غيبية مجردة عن
المواد أصلاً إذ كان الله تعالى
ولم يكن شيء غيره وفي
الخلق كلمات مخيلة ذهنية
فهي في مادة خيالية فكلمات
الكلام النفسي في جنابه
تعالى كلمات حقيقية لكنها
ألفاظ حكمية ولا يشترط
اللفظ الحقيقي في كون

الكمة حقيقية إذ قد أطلق
الفاروق الكلمة على أجزاء
مقالته

المخيلة في خبر يوم السقيفة
والأصل في الإطلاق الحقيقة
فالأجزاء كلمات حقيقية لغوية
مع أنها ليست ألفاظا كذلك إذ
ليست حروفها عارضة لصوت
واللفظ الحقيقي ما كانت
حروفه عارضة وهو لكونه
صورة اللفظ النفسي الحكمي
دال عليه وهو دال في النفس
على معناه بلا شبهة ولا إنفكاك
فيصدق على اللفظ النفسي
بمعناه أنه مدلول اللفظ

الحقيقي ومعناه فتفسير
المعنى النفسي المشهور عن
الأشعري بمدلول اللفظ وحده
كما نقله صاحب المواقف عن
الجمهور لا ينافي تفسيره
بمجموع اللفظ والمعنى كما
فسره هو أيضا وذلك بأن
يحمل اللفظ في قوله على
النفسي وفي قول الجمهور
على الحقيقي ولا شك حينئذ
أن مجموع النفسي ومعناه من
حيث المجموع يصدق عليه أنه
مدلول اللفظ الحقيقي وحده
لأن اللفظ الحقيقي لكونه
صورة النفسي في مرتبة تنزله

دال عليه ويدل على أن المراد
المجموع قول إمام الحرمين
في الأرشاد ذهب أهل الحق
إلى إثبات الكلام القائم
بالنفس وهو القول أي المقول
الذي يدور في الخلد وهو
اللفظ النفسي الدال على
معناه بلا إنفكاك نعم عبارة
صاحب المواقف غير واضحة
في المقصود وله مقالة مفردة
في ذلك ومحصولها كما قال
السيد قدس سره أن لفظ
المعنى يطلق تارة على
مدلول اللفظ وأخرى على
الأمر القائم بالغير فالشيخ لما

قال الكلام النفسي هو المعنى
النفسي فهم الأصحاب منه أن
مراده مدلول اللفظ وحده وهو
القديم عنده وأما البعرات
فإنما تسمى كلاما مجازا
لدلالته على ما هو كلام حقيقي
حتى صرحوا بأن الألفاظ
خاصة حادثة على مذهبه أيضا
لكنها ليست كلامه حقيقة وهذا
الذي فهموه من كلام الشيخ له
لوازم كثيرة فاسدة كعدم
إكفار من أنكر كلامية ما بين
دفتي المصحف مع أنه علم
من الدين ضرورة كونه كلام
الله تعالى حقيقة وكعدم

المعارضة والتحدي بكلام الله
الحقيقي وكعدم كون المقروء
والمحفوظ كلامه حقيقة إلى
غير ذلك مما لا يخفى على
المتفطن في الأحكام الدينية
فوجب حمل كلام الشيخ على
أنه أراد به المعنى الثاني
فيكون الكلام النفسي عنده
أمرا شاملا للفظ والمعنى
جميعا قائما بذات الله تعالى
وهو مكتوب في المصاحف
مقروء بالألسن محفوظ في
الصدور وهو غير الكتابة
والقراءة والحفظ الحادثة
(وما يقال) من أن الحروف

والألفاظ مترتبة متعاقبة
فجوابه أن ذلك الترتيب إنما هو
في التلفظ بسبب عدم
مساعدة الآلة فالتلفظ حادث
والأدلة الدالة على الحدوث
يجب حملها على حدوثه دون
حدوث الملفوظ جمعاً بين
الأدلة وهذا الذي ذكرناه وإن
كان مخالفاً لما عليه متأخر
وأصحابنا إلا أنه بعد التأمل
يعرف حقيقته إنتهى
(وإعتراضه) الدواني بوجوه
قال (أما أو لا) فلان مذهب
الشيخ أن كلامه تعالى واحد
وليس بأمر ولا نهي ولا خير

وإنما يصير أحد هذه الأمور
بحسب التعلق وهذه الأوصاف
لا تنطبق على الكلام اللفظي
وإنما يصح تطبيقه على المعنى
المقابل للفظ بضرب من
التكلف (وأما ثانيا) فلان كون
الحروف والألفاظ قائمة بذاته
تعالى من غير ترتب يفضي
إلى كون الأصوات مع كونها
أعراضا سيالة موجودة بوجود
لا تكون فيه سيالة وهو
سفسطة من قبيل أن يقال
الحركة توجد في بعض
الموضوعات من غير ترتب
وتعاقب بين أجزائها (وأما ثالثا

(فلأنه يؤدي إلى أن يكون
الفرق بين ما يقوم بالقاريء
من الألفاظ وبين ما يقوم بذاته
تعالى بإجتماع الأجزاء وعدم
إجتماعها بسبب قصور الآلة
(فنقول) هذا الفرق إن
أوجب إختلاف الحقيقة فلا
يكون القائم بذاته من جنس
الألفاظ وإن لم يوجب وكان
ما يقوم بالقاريء وما يقوم
بذاته تعالى حقيقة واحدة
والتفاوت بينهما إنما يكون
بإجتماعه

وعدمه اللذين هما من عوارض
الحقيقة الواحدة كان بعض

صفاته الحقيقية مجانسا
لصفات المخلوقات (وأما
رابعا) فلان لزوم ما ذكره من
المفاسد وهم فإن تكفير من
أنكر كون ما بين الدفتين كلام
الله تعالى إنما هو إذا اعتقد أنه
من مخترعات البشر أما إذا
اعتقد أنه ليس كلام الله
بمعنى أنه ليس بالحقيقة صفة
قائمة بذاته بل هو دال على
الصفة القائمة بذاته لا يجوز
تفكيره أصلا كيف وهو مذهب
أكثر الأشاعرة ما خلا المصنف
وموافقيه وما علم من الدين
من كون ما بين الدفتين كلام

الله تعالى حقيقة إنما هو
بمعنى كونه دالا على ما هو
كلام الله تعالى حقيقة لا على
أنه صفة قائمة بذاته تعالى
وكيف يدعي أنه من ضروريات
الدين مع أنه خلاف ما نقله عن
الأصحاب وكيف يزعم أن هذا
الجم الغفير من الأشاعرة
أنكروا ما هو من ضروريات
الدين حتى يلزم تكفيرهم
حاشاهم عن ذلك (وأما
خامسا) فلأن الأدلة الدالة
على النسخ لا يمكن حملها
على التلفظ بل ترجع إلى
الملفوظ كيف وبعضها مما لا

يتعلق النسخ بالتلفظ به كما
نسخ حكمه بقى تلاوته إنتهى ()
والجواب () أما عن الأول فهو
أن الحق عز أسمه له كلام
بمعنى التكلم وكلام بمعنى
المتكلم به وما هو أمر واحد
المعنى الأول وهو صفة واحدة
تتعدد تعلقاتها بحسب تعدد
المتكلم به من الكتب
والكلمات وأنها ليست من
جنس الحروف والألفاظ أصلا
لا الحقيقية ولا الحكمية وما ذكر
في الإعتراض ينطبق عليه بلا
كلفه () والدليل () على أن
المنعوت بهذه الأوصاف عند

الشيخ هو المعنى الأول نقل
الإمام أن الكلام الأزلي لم يزل
متصفا بكونه أمرا نهيا خبرا ولا
شك أن هذه أقسام المتكلم به
وكل من كان قائلا بإنقسام
الثاني كان المنعوت بالوحدة
ذاتا والتعدد تعلقا المعنى الأول
عنده جمعا بين الكلامين (وأما
(عن الثاني فهو أن ذلك إنما
يلزم إذا أريد من اللفظ
الحقيقي وأما إذا أريد النفسي
الحكمي فلا ورود له لأن
الألفاظ النفسية كلها مجتمعة
الأجزاء في الوجود العلمي مع
كونها مترتبة كما ذكره هو

نفسه وكلام صاحب المواقف
محتمل للتأويل كما تقدم
فليحمل عليه سعيا بالإصلاح
مهما أمكن () وأما () الثالث فهو
أن الإيراد مبني على ظن أن
المراد باللفظ الحقيقي مع أنه
محتمل لأن يراد النفسي كما
يقتضيه ظاهر تشبيهه بالقائم
بنفس الحافظ () وأما () الرابع
فهو أن الكلام النفسي عند
أهل الحق هو مجموع اللفظ
النفسي والمعنى ولكن ظاهر
كلام صاحب المواقف يدل
على أنه فهم من ظاهر كلام
بعض الأصحاب أن مرادهم

بالمعنى هو المقابل للفظ مجردا عن اللفظ مطلقا وقد سمعهم يقولون إن الكلام اللفظي ليس كلامه تعالى حقيقة بل مجازا فإذا أنضم قولهم بنفي كونه كلاما حقيقة شرعية إلى قولهم في ظنه أن النفسي هو المعنى المقابل للفظ لزم من هذا ما هو في معنى القول بكون اللفظي من مخترعات البشر ولا يخفى إستلزامه للمفاسد ولكن لم يريدوا بالمجاز الشرعي فإن إطلاق كلام الله تعالى المسموع متواتر فلا يتأتى نفيه

لأحد بل المراد أن الكلام إنما
يتبادر منه ما هو وصف
للمتكلم وقائم به قياما يقتضيه
حقيقة الكلام وذات المتكلم
في الحق والخلق على الوجه
اللائق بكلوأما ما يتلى فهو
حروف عارضة للصوت
الحادث ولا شك أنه ليس قائما
بذاته سبحانه من حيث هو هو
بل هو صورة من صور كلامه
القديم القائم به تعالى ومظهر
تنزلاته فهو دال على الحقيقي
القائم فسمى كلاما حقيقة
شرعية لذلك وفيه إطلاق
لأسم الحقيقة على الصورة

فيكون مجازاً من هذا الوجه
وإلى هذا يشير كلام التفتازاني
فلا يلزم شيء من المفاسد
وإعتراض صاحب المواقف
مبني على ظنه (وأما
الخامس) فهو أن كلام صاحب
المواقف ليس نصافي أن
الضمير راجع إلى التلفظ بل
يحتمل أن يكون راجعاً إلى
الملفوظ وذلك أنه قال المعنى
الذي

في النفس لا ترتب فيه كما هو
قائم بنفس الحافظ ولا ترتب
فيه وقد مر أن المراد به
مجموع اللفظ النفسي

والمعنى كما يقتضيه ظاهر التشبيه بالقائم بنفس الحافظ ولا شك أنه لا ترتب فيه أي لا تعاقب فيه في الوجود العلمي وحينئذ فقولهم نعم الترتب إنما يحصل في التلفظ معناه أن الترتب في المعنى النفسي الذي هو مجموع اللفظ النفسي والمعنى إنما يحصل في التلفظ الخارجي لضرورة عدم مساعدة الآلة فقوله وهو الذي هو حادث أي الملفوظ بالتلفظ الخارجي الذي هو الصورة حادث لا اللفظ النفسي وتحمل الأدلة التي

تدل على الحدوث على حدوثه
أي الملفوظ بالتلفظ الخارجي
وعلى هذا لا ورود للإعتراض
أصلا (ومنهم) من أعترض
أيضا بأنهم أشرتوا في
المعجزة أن تكون فعل الله
تعالى أو ما يقوم مقامه
كالنزول فلا يكون القرآن
اللفظي الذي هو معجزة قديما
صفة له تعالى ولا يخفى أن
المعجزة هو القرآن في مرتبة
تنزله إلى الألفاظ الحقيقة
العربية فكونه لفظا حقيقيا
عربيا مجعول بالنص فيكون
معجزة بلا شبهة والقديم على

ما حقق هو القرآن اللفظي
النفسي الذي هو مجموع
اللفظ النفسي والمعنى وهذا
واضح لمن ساعدته العناية وقد
شنع على الشيخ الأشعري في
هذا المقام أقوام تشابهت
قلوبهم واتحدت أغراضهم وإن
اختلفت أساليبهم وها أنا بحوله
تعالى راد لإعتراضاتهم بعد
نقلها غير هباب ولا وكل وإن
أتسع علم أهلها فالبعوضة قد
تدمي مقلة الأسد وفضل الله
تعالى ليس مقصورا على أحد
(فأقول) قال تلميذ مولانا
الدواني عفيف الدين الإيجي

ما حاصله أن هذا الذي تدعيه
إلا شاعرة من أن للكلام معنى
آخر يسمى النفسي باطل فإننا
إذ قلنا زيد قائم فهناك أربعة
أشياء (الأول) العبارة
الصادرة عنه (والثاني)
مدلول هذه العبارة وما وضع
له هذه الألفاظ من المعاني
المقصودة بها (الثالث) علمه
بثبوت تلك النسبة وإنتفائها
(الرابع) بثبوت تلك النسبة
وإنتفاؤها في الواقع والأخير أن
ليس كلاما إتفاقا والأول لا
يمكن أن يكون كلام الله
حقيقة على مذهبهم فبقى

الثاني وكذا نقول في الأمر
والنهي ههنا ثلاثة أمور (الأول
(الإرادة والكراهة الحقيقية
(الثاني) اللفظ الصادر عنه
(الثالث) مفهوم لفظه
ومعناه والأول ليس كلاما
إتفاقا والثاني كذلك على
مذهبهم فبقى الثالث وبه صرح
أكثر محققيهم وكونه كلاما
نفسيا ثابتا لله تعالى شأنه
محكوما عليه بأحكام مختلفة
باطل من وجه (الأول) أنه
مخالف للعرف واللغة فإن
الكلام فيهما ليس إلا المركب
من الحروف (الثاني) أنه لا

يوافق الشرع إذ قد ورد فيما لا
يحصى كتابا وسنة أن الله
تعالى ينادي عباده ولا ريب أن
النداء لا يكون إلا بصوت بل قد
صرح به في الأخبار الصحيحة
وباب المجاز وإن لم يغلق بعد
إلا أن حمل ما يزيد على نحو
مائة ألف من الصرائح على
خلاف معناه مما لا يقبله العقل
السليم (الثالث) أن ما قالوه
من كون هذا المعنى النفسي
واحدا يخالف العقل فإنه لا
شك أن مدلول اللفظ في
الأمر يخالف مدلوله في النهي
ومدلول الخبر يخالف مدلول

الإنشاء بل مدلول أمر
مخصوص غير مدلول أمر آخر
وكذا في الخبر ولا يرتاب عاقل
أن مدلول اللفظ لا يمكن أن
يكون غير القرآن وسائر الكتب
السماوية فيلزم أن يكون كل
واحد مشتملا على ما أشتمل
عليه الآخر وليس كذلك وكيف
يكون معنى واحد خيرا وإنشاء
محتملا للتصديق والتكذيب
وغير محتمل وهو جمع بين
النفي والإثبات إنتهى
(ولا يخفى) أن مبنى جميع
إعتراضاته على فهمه أن
مرادهم بالمعنى النفسى هو

مدلول اللفظ وحده أي المعنى
المجرد عن مقارنة اللفظ
مطلقا ولو حكما وقد عرفت
أنه ليس كذلك بل المراد به
مجموع اللفظ النفسي
والمعنى وهو الذي يدور
في الخلد وتدل عليه العبارات
كما صرح به إمام الحرمين
وعليه إذا قال القائل زيد قائم
فهناك أربعة أشياء كما ذكر
المعتزض وشيء خامس تركه
وهو المراد وهي هذه الجملة
بشروط وجودها في الذهن
بألفاظ مخيلة ذهنية دالة على
معانيها في النفس وهذا يعنونه

بالكلام النفسي فلا محذور
(ونقول) على سبيل التفصيل
(أما الأول) فجوابه أنه إنما
تتم المخالفة إذا لم يكن
عندهم مجموع اللفظ النفسي
والمعنى فحيث كان لا مخالفة
لأن الكلام حينئذ مركب من
الحروف إلا أنها نفسية غيبية
في الحق خيالية في الخلق
(وأما الثاني) فجوابه أن هذا
الذي لا يحصى ليس فيه سوى
أن الحق سبحانه وتعالى
متكلم بكلام حروفه عارضة
للصوت لا أنه لا يتكلم إلا به فلا
ينتهض ما ذكر حجة على

الشيخ بل إذا أمعنت النظر
رأيت ذلك حجة له حيث بين
أن الله تعالى لا يتكلم بالوحي
لفظا حقيقيا إلا على طبق ما
في علمه وكلما كان كذلك كان
الكلام اللفظي صورة من صور
الكلام النفسي ودليلا من أدلة
ثبوتها (والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل) (وأما الثالث)
فجوابه أن المنعوت بأنه واحد
بالذات تتعدد تعلقاته هو الكلام
بمعنى صفة المتكلم ووحدته
مما لا شك لعاقل فيها وأما
الكلام النفسي بمعنى المتكلم
به فليس عنده واحدا بل نص

في الإبانة على إنقسامه إلى
الخبر والأمر والنهي في الأزل
فلا إعتراض وقال النجم
سليمان الطوفي إنما كان
الكلام حقيقة في العبارة
مجازا في مدلولها لوجهين
(أحدهما) أن المتبادر إلى
فهم أهل اللغة من إطلاق
الكلام إنما هو العبارة
والمبادرة دليل الحقيقة
(الثاني) أن الكلام مشتق من
الكلم لتأثيره في نفس السامع
والمؤثر فيها إنما هو العبارات
لا المعاني النفسية بالفعل نعم
هي مؤثرة للفائدة بالقوة

والعبارة مؤثرة بالفعل فكانت
أولى بأن تكون حقيقة
والأخرى مجازا وقال
المخالفون أستعمل لغة في
النفسي والعبارة (قلنا) نعم
لكن بالإشتراك أو بالحقيقة
فيما ذكرناه وبالمجاز فيما
ذكرتموه والأول ممن قالوا
الأصل في الإطلاق الحقيقة
قلنا والأصل عدم الإشتراك
أن لفظ الكلام أكثر ما
يستعمل في العبارات والكثرة
دليل الحقيقة وأما قوله تعالى
(يقولون في أنفسهم) فمجاز
دل على المعنى النفسي

بقرينة (في أنفسهم) ولو
أطلق لما فهم إلا العبارة وأما
قوله تعالى (وأسروا قولكم)
الآية فلا حجة فيه لأن الأسرار
خلاف الجهر وكلاهما عبارة
عن أن يكون أرفع صوتاً من
الآخر وأما بيت الأخطل
فالمشهور أن البيان وبتقدير
أن يكون الكلام فهو مجاز عن
مادته وهو التصورات
المصححة له إذ من لم يتصور
ما يقول لا يوجد كلاماً ثم هو
مبالغة من هذا الشاعر بترجيح
الفؤاد على اللسان إنتهى وفيه
ما لا يخفى أما أو لا فلأن

مأدعاه من التبادر إنما هو
لكثرة إستعماله في اللفظي
لمسييس الحاجة إليه لا لكونه
الموضوع له خاصة بدليل
إستعماله لغة وعرفا في
النفسي والأصل في الإطلاق
الحقيقة وقوله والأصل عدم
الإشتراك قلنا نعم إن أردت به
الإشتراك اللفظي ونحن لا
ندعيه وإنما ندعي الإشتراك
المعنوي وذلك أن الكلام في
اللغة بنقل النحويين ما يتكلم
به قليلا كان أو كثيرا حقيقة أو
حكما (وأما ثانيا) فلأن ما
أدعاه من أن المؤثر في نفس

السامع إنما هو العبارات لا
المعاني النفسية الأمر فيه
بالعكس بدليل أن الإنسان إذا
سمع كلاما لا يفهم معناه لا
تؤثر ألفاظه في نفسه شيئا
وقد يتذكر الإنسان في حالة
سروه كلاما يحزنه (وفي حالة
حزنه كلاما يسره فيتأثر بهما
ولا صوت ولا حرف هناك وإنما
هي حروف وكلمات مخيلة
نفسية وهو الذي عناه الشيخ
بالكلام النفسي وعلى هذا
فالسامع في قولهم لتأثيره في
نفس السامع ليس بقيد
والتأثير في النفس مطلقا

معتبر في وجه التسمية (وأما
ثالثاً) فلأن ما قاله في قوله
تعالى (يقولون في أنفسهم)
من أنه مجاز دل على المعنى
النفسي فيه بقرينة (في
أنفسهم) ولو اطلق لما فهم
إلا العبارة يردده قوله تعالى
(يقولون بأفواههم) وفي آية
(بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
) إذ لو كان مجرد ذكر (في
أنفسهم) قرينة على كون
القول مجازاً في النفسي لكان
ذكر (بأفواههم وبالسنتهم)
قرينة على كونه مجازاً في

العبارة واللازم باطل فكذا
الملز ومنعم التقييد دليل على
أن القول مشترك معنى بين
النفسي واللفظي وعين به
المراد من فرديه فهو لنا لا
علينا (وأما رابعا) فلأن ما
ذكره في قوله تعالى (وأسروا
(الآية تحكم بحث لأن السر
كما قال الزمخشري ما حدث
به الرجل نفسه أو غيره في
مكان خال ويساعده الكتاب
والأثر واللغة كما لا يخفى على
المتتبع (وأما خامسا) فلأن ما
ذكره في بيت الأطل خطل
من وجوه (أما أولا) فعلى

تقدير أن يكون المشهور البيان
بدل الكلام يكفي في البيان
لأنه إما أسم مصدر بمعنى ما
يبين به أو مصدر بمعنى التبيين
وعلى الأول هو بمعنى الكلام
ولا فرق بينهما إلا في اللفظ
وعلى الثاني هو مستلزم
للكلام النفسي بمعنى المتكلم
به إن كان المراد به التبيين
القلبي أعني ترتيب القلب
لل كلمات الذهنية على وجه إذا
عبر عنها باللسان فهم غيره ما
قصده منها (وأما ثانيا) فلأن
قوله ويتقدير أن يكون إلخ
إقرار بالكلام النفسي من غير

شعور (وأما ثالثا) فلأن دعوى
المجاز تحكم مع كون الأصل
في الإطلاق الحقيقة (وأما
رباعا) فلأن دعوى أن ذلك
مبالغة من هذا الشاعر خلاف
الواقع بل هو تحقيق من غير
مبالغة كما يفهم مما سلف فما
ذكره هذا الشاعر كلمة حكمة
سواء نطق بها على بينة من
الأمر أو كانت منه رمية من
غير رام فإن معناه موجود في
حديث أبي سعيد العينان
دليان والأذنان قمعان
واللسان ترجمان إلى أن
قالوا القلب ملك فإذا صلح

الحديث وفي حديث أبي
هريرة القلب ملك وله جنود
إلى أن قالوا للسان ترجمان
الحديث فما قيل إن هذا
الشاعر نصراني عدو الله
تعالى ورسوله فيجب أطراح
كلام الله تعالى ورسوله
تصحيحا لكلامه أو حمله على
المجاز صيانة لكلمة هذا
الشاعر عنه وأيضا يحتاجون
إلى إثبات هذا الشعر والشهرة
غير كافية فقد فتش ابن
الخشاب دواوين الأخطل
العتيقة فلم يجد فيها البيت
إنتهى كلام أوهن وأوهى من

بيت العنكبوت وأنه لأوهن
البيوت (أما أو لا) فلأن كلام
هذا العدو موافق لكلام الحبيب
حتى لكلام المنكرين للكلام
النفسي حيث أعترفوا به في
عين إنكارهم (وأما ثانيا) فلأننا
أغنانا الله تعالى ورسوله من
فضله عن إثبات هذا الشعر
(وأما ثالثا) فلأن عدم وجدان
إبن الخشاب لا يدل على
إنتفائه بالكلية كما لا يخفى
والحاصل أن الناس أكثروا
القال والقليل في حق هذا
الشيخ الجليل وكل ذلك من
باب وكم من عائب قولا

صحيحاً وآفته من الفهم
السقيم نعم البحث دقيق لا
يرشد إليه إلا توفيق كم أسهر
أناساً وأكثر وسواساً وأثار فتنة
وأورث محنة وسجن أقواماً
وأم إماماً مرام شط مرمى
العقل فيه ودون مداه ييد لا
تبيد ولكن بفضل الله تعالى قد
أتينا فيه بلب الباب وخلاصة
ما ذكره الأصحاب وقد أندفع
به كثير مما أشكل على
الأقوام وخفى على إفهام ذوي
الأفهام ولا حاجة معه إلى ما
قاله المولى المرحوم غنى
زاده في التخلص عن هاتيك

الشبه مما نصه ثم أعلم أنني
بعدها حررت البحث بعثني
فرط الإنصاف إلى أنه لا ينبغي
لذي الفطرة السليمة أن
يدعي قدم اللفظ لإحتياجه إلى
هذه التكلفات وكذا كون الكلام
عبارة عن المعنى القديم
لركاكة توصيف الذات به كيف
ومعنى قصة نوح مثلا ليس
بشيء يمكن إتصاف الذات به
إلا بتمحل بعيد فالحق الذي لا
محيد عنه هو أن المعاني كلها
موجودة في العلم الأزلي
بوجود علمي قديم لكن لما
كان في ماهية بعضها داعية

المبروز في الخارج بوجود
لفظي حادث حسبما يستدعيه
حدوث فيما لا يزال أقتضى
أزليا إبراز ذلك البعض في
الخارج بذلك الوجود الحادث
فيما لا يزال فهذا الإقتضاء
صفة للذات هو بها في الأزل
مسماة بالكلام

النفسي وأثره الذي هو ظهور
المعنى القديم باللفظ الحادث
إنما يكون فيما لا يزال
والمغايرة بينه وبين صفة العلم
ظاهرة وهذا هو غاية الغايات
في هذا الباب والحمد لله على
ما خصني بفهمه من بين أرباب

الألباب إنتهى وفيه أنه غاية
الغايات في الجسارة على رب
الأرباب وإحداث صفة قديمة
ما أنزل الله تعالى بها من
كتاب إذ لم يرد في كتاب الله
تعالى ولا في سنة نبيه صلى
الله تعالى عليه وسلم ولا روى
عن صحابي ولا تابعي تسمية
ذلك الإقتضاء كلاماً بل لا
يقتضيه عقل ولا نقل على أنه
لا يحتاج إليه عند من أخذت
العناية بيديه هذا وإذا سمعت
ما تلوناه ووعيت ما حققناه
فأسمع الآن تحقيق الحق في
كيفية سماع موسى عليه

السلام كلام الحق (فأقول)
الذي إنتهى إليه كلام أئمة
الدين كالماتريدي والأشعري
وغيرهما من المحققين أن
موسى عليه السلام سمع كلام
الله تعالى بحرف وصوت كما
تدل عليه النصوص التي بلغت
في الكثرة مبلغا لا ينبغي معه
تأويل ولا يناسب في مقابلته
قال وقيل فقد قال تعالى
(وناديناه من جانب الطور
الأيمن) (وإذ نادى ربك
موسى) (نودي من شاطيء
الوادى الأيمن) (إذ ناداه ربه
بالوادى المقدس طوى)

(نوذي أن بورك من في النار
ومن حولها) واللائق بمقتضى
اللغة والأحاديث أن يفسر
النداء بالصوت بل قد ورد
إثبات الصوت لله تعالى شأنه
في أحاديث لا تحصى وأخبار لا
تستقصي

(روى) البخاري في الصحيح
يحشر الله العباد فيناديهم
بصوت يسمعه من بعدكما
يسمعه من قرب أنا الملك أنا
الديان ومن علم أن لله تعالى
الحكيم أن يتجلى بما شاء
وكيف شاء وأنه منزّه في
تجليه قريب في تعاليه لا تقيده

المظاهر عند أرباب الأذواق إذ
له الإطلاق الحقيقي حتى عن
قيد الإطلاق زالت عنه
إشكالات وأتضحت لديه
متشابهات ومما يدل على
ثبوت التجلي في المظهر لله
تعالى قول ابن عباس ترجمان
القرآن في قوله تعالى (أن
بورك من في النار) كما في
الدر المنثور يعني تبارك
وتعالى نفسه كان نور رب
العالمين في الشجرة وفي
رواية عنه كان الله في النور
ونودي من النور وفي صحيح
مسلم حجاب النور وفي رواية

له حجابہ النار ودفع الله
سبحانه توهم التقييد بما ينافي
التنزيه بقوله (وسبحان الله)
أي عن التقييد بالصورة
والمكان والجهة وإن ناداك
منها لكونه موصوفا بصفة رب
العالمين فلا يكون ظهوره
مقيدا له بل هو المنزه عن
التقييد حين الظهور (ياموسى
إنه) أي المنادي المتجلي (أنا
الله العزيز) فلا أتقيد لعزتي
ولكني (الحكيم) فأقتضت
حكمتي الظهور والتجلي في
صورة مطلوبك فالمسموع
على هذا صوت وحرف

سمعهما موسى عليه السلام
من الله تعالى المتجلي بنوره
في مظهر النار لما أقتضته
الحكمة فهو عليه السلام كليم
الله تعالى بلا واسطة لكن من
وراء حجاب مظهر النار وهو
عين تجلي الحق تعالى له وأما
ما شاع عن الأشعري من
القول بسماع الكلام النفسي
القائم بذات الله تعالى فهو
من باب التجويز والإمكان لا أن
موسى عليه السلام سمع ذلك
بالفعل إذ هو خلاف البرهان
ومما يدل على جواز سماع
الكلام النفسي بطريق خرق

العادة قوله تعالى في الحديث
القدسى ولا يزال عبدي يتقرب
إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا
أحبته كنت سمعه الذي يسمع
به الحديث ومن الواضح أن
الله تبارك وتعالى إذا كان
بتجليه النورى المتعلق
بالحروف غيبية كانت أو خيالية
أو حسية سمع العبد على
الوجه اللائق المجامع ل
(ليس كمثله شيء) عند من
يتحقق معنى الإطلاق الحقيقى
صح أن يتعلق سمع العبد بكلام
ليس حروفه عارضة لصوت
لأنه بالله يسمع إذ ذاك والله

سبحانه يسمع السر والنجوى
والإمام الماتريدي أيضا يجوز
سماع ما ليس بصوت على
وجه خرق العادة كما يدل عليه
كلام صاحب التبصرة في كتاب
التوحيد فما نقله ابن الهمام
عنه من القول بالإستحالة
فمراده الإستحالة العادية فلا
خلاف بين الشيخين عند
التحقيق ومعنى قول الأشعري
أن كلام الله تعالى القائم بذاته
يسمع عند تلاوة كل تال
وقراءة كل قارئ أن
المسموع أو لا وبالذات عند
التلاوة إنما هو الكلام اللفظي

الذي حروفه عارضة لصوت
القاريء بلا شك لكن الكلمات
اللفظية صور الكلمات الغيبية
القائمة بذات الحق فالكلام
النفسي مسموع بعين سماع
الكلام اللفظي لأنه صورته لا
من حيث الكلمات الغيبية فإنها
لا تسمع إلا على طريق خرق
العادة (وقول (الباقلاني إنما
تسمع التلاوة دون المتلو
والقراءة دون المقروء يمكن
حمله على أنه أراد إنما يسمع
أو لا وبالذات التلاوة أي المتلو
اللفظي الذي حروفه عارضة
لصوت التالي لا النفسي الذي

حروفه غيبية مجردة عن
المواد الحسية والخيالية فلا
نزاع في التحقيق أيضا
والفرق بين سماع موسى
عليه السلام كلام الله تعالى
وسماعنا له على هذا أن
موسى عليه السلام سمع من
الله عز وجل بلا واسطة لكن
من وراء حجاب ونحن إنما
نسمعه من العبد التالي بعين
سماع الكلام اللفظي المتلو
بلسانه العارض حروفه لصوته
لا من الله تعالى من وراء
حجاب العبد فلا يكون سماعا
من الله تعالى بلا واسطة وهذا

واضح عند من له قدم راسخة
في العرفان وظاهر عند من
قال بالمظاهر مع تنزيه الملك
الديان وأنت إذا أمنت النظر
في قول أهل السنة القرآن
كلام الله عز وجل غير مخلوق
وهو مقروء بالسنتنا مسموع
بأذاننا محفوظ في صدورنا
مكتوب في مصاحفنا غير حال
في شيء منها رأيتَه قولاً
بالمظاهر ودالاً على أن تنزل
القرآن القديم القائم بذات
الله تعالى فيها غير قاذح في
قدمه لكونه غير حال في شيء
منها مع كون كل منها قرآناً

حقيقة شرعية بلا شبهة وهذا
عين الدليل على أن تجلي
القديم في مظهر حادث لا
ينافي قدمه وتنزيهه وليس من
باب الحلول ولا التجسيم ولا
قيام الحوادث بالقديم ولا ما
يشأ كل ذاك من شبهات
تعرض لمن لا رسوخ له في
هاتيك المسالك وعنه يظهر
معنى ظهور القرآن في صورة
الرجل الشاحب يلقي صاحبه
حين ينشق عنه القبر وظهوره
خصما لمن حمله فخالف أمره
وخصما دون من حمله فحفظ
الأمر بل من أحاط خبرا

بأطراف ما ذكرناه وطاف
فكره المتجرد عن مخطط
الهوى في كعبة حرم ما
حققناه أندفع عنه كل إشكال
في هذا الباب ورأى أن تشنيع
إبن تيمية وإبن القيم وإبن
قدامة وإبن قاضي الجبل
والطوفي وأبي نصر وأمثالهم
صرير باب أو طنين ذباب وهم
وإن كانوا فضلاء محققين
وأجلاء مدققين
لكنهم كثيرا ما أنحرفت
أفكارهم وأختلطت أنظارهم
فوقعوا في علماء الأمة وأكابر
الأئمة وبالغوا في التعنيف

والتشنيع وتجاوزوا في
التسخيف والتفطيع ولولا
الخروج عن الصدد لوفيتهم
الكيل صاعا بصاع ولتقدمت
إليهم بما قدموا باعا ببيع
ولعلمتهم كيف يكون الهجاء
بحروف الهجاء ولعرفتهم الإلام
ينتهي المرء بلا مرء في
فرس للحم بالحلم ملجم ولي
فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمي فأني مقوم
ومن رام تعويجي فأني معوج
علي أن العفو أقرب للتقوى
والأغضاء مبني الفتوة وعليه
الفتوى والسادة الذين تكلم

فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو
مروا كراما وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وحيث
تحرر الكلام في الكلام على
مذهب أهل السنة وأندفع عنه
بفضل الله تعالى كل محنة
ومهة فلا بأس بأن نحكي بعض
الأقوال كما حكى الله تعالى
كثيرا من أقوال ذوي الضلال
وبعد أن رسخ الحق في قلبك
وتغلغل في سويدائه كلام ربك
لا أخشى عليك من سماع
باطل لا يزيدك إلا حقا وكاذب
لا يورثك إلا صدقا (فنقول
(أما المعتزلة فأتفقوا كافة

على أن معنى كونه تعالى
متكلما أنه خالق الكلام على
وجه لا يعود إليه منه صفة
حقيقية كما لا يعود إليه من
خلق الأجسام وغيرها صفة
حقيقية وأتفقوا أيضا على أن
كلام الرب تعالى مركب من
الحروف والأصوات وأنه
محدث مخلوق ثم اختلفوا
فذهب الجبائي وإبنة أبو هاشم
إلى أنه حادث في محل ثم
زعم الجبائي أن الله تعالى
يحدث عند قراءة كل قارئ
كلما لنفسه في محل القراءة
وخالفه الباقيون وذهب أبو

الهذيل بن العلاف وأصحابه
إلى أن بعضه في محل وهو
قوله كن وبعضه لا في محل
كالأمر والنهي والخبر
والإستخبار وذهب الحسن بن
محمد النجار إلى أن كلام
الباري إذا قريء فهو عرض
وإذا كتب فهو جسم وذهبت
الإمامية والخوارج والحشوية
إلى أن كلام الرب تعالى
مركب من الحروف والأصوات
ثم اختلف هؤلاء فذهب
الحشوية إلى أنه قديم أن لي
قائم بذات الرب تعالى لكن
منهم من زعم أنه من جنس

كلام البشر وبعضهم قال لا بل
الحرف حرفان والصوت
صوتان قديم وحادث والقديم
منهما ليس من جنس الحادث
وأما الكرامية فقالوا إن الكلام
قد يطلق على القدرة على
التكلم وقد يطلق على الأقوال
والعبارات وعلى كلا التقديرين
فهو قائم بذات الله تعالى لكن
إن كان بالإعتبار الأول فهو
قديم متحد لا كثرة فيه وإن
كان بالإعتبار الثاني فهو حادث
متكثر وأما الواقفية فقد
أجمعوا على أن كلام الرب
تعالى كائن بعد أن لم يكن

لكن منهم من توقف في إطلاق أسم القديم والمخلوق عليه ومنهم من توقف في إطلاق أسم المخلوق وأطلق أسم الحادث ومن القائلين بالحدوث من قال ليس جوهرًا ولا عرضًا وزهد بعض المعترفين بالصانع إلى أنه لا يوصف بكونه متكلمًا لا بكلام ولا بغير كلام والذي أوقع الناس في حيص بيص أنهم رأوا قياسين متعارضين النتيجة وهما كلام الله تعالى صفة له وكل ما هو صفة له فهو قديم فكلام الله تعالى قديم وكلام

الله تعالى مركب من حروف
مرتبة متعاقبة في الوجود وكل
ما هو كذلك فهو حادث فكلما
الله تعالى حادث فقوم ذهبوا
إلى أن كلامه تعالى حروف
وأصوات وهي قديمة ومنعوا
أن كل ما هو مؤلف من
حروف وأصوات فهو حادث
ونسب إليهم أشياء هم برآء
منها وآخرون قالوا بحدوث
كلامه تعالى وأنه مؤلف من
أصوات وحروف وهو قائم
بغيره ومعنى كونه متكلماً
عندهم أنه موجد لتلك الحروف
والأصوات في جسم كاللوح أو

ملك كجبريل أو غير ذلك فهم
منعوا أن المؤلف من الحروف
والأصوات صفة الله تعالى
وأناس لما رأوا مخالفة الأولين
للضرورة الظاهرة

التي هي أشنع من مخالفة
الدليل ومخالفة الآخرين فيما
ذهبوا إليه للعرف واللغة ذهبوا
إلى أن كلامه تعالى صفة له
مؤلفة من الحروف والأصوات
الحادثة القائمة بذاته تعالى
فهم منعوا أن كل ما هو صفة
له تعالى فهو قديم وجمع قالوا
كلامه تعالى معنى واحد بسيط
قائم بذاته تعالى فهم منعوا أن

كلامه تعالى مؤلف من
الحروف والأصوات وكثير في
حقهم القول والقليل والنزاع
الطويل وبعضهم تحير فوقف
وحبس ذهنه في مسجد
الدهشة وأعتكف وعندي
القياسان صحيحان والنتيجتان
صادقتان ولكل مقام مقال
ولكل كلام أحوال ولا أظنك
تحوجني إلى تفصيل بعد ما
وعاه فكرك الجميل بل ولا
تكلفني رد هذه الأقوال اثنية
التي هي لديك إذا أخذت
العناية بيدك كسراب بقيعة
فليطر شحرور القلم إلى

روضة أخرى وليغرد بها بفائدة
لعلها أولى من الإطالة وأخرى
والله سبحانه وتعالى الموفق
للصواب لا رب غيره

(الفائدة الخامسة) في بيان
المراد بالأحرف السبعة التي
نزل بها القرآن أقول روى أحد
وعشرون صحابيا حديث نزول
القرآن على سبعة أحرف حتى
نص أبو عبيدة على تواتره
وفي مسند أبي يعلى أن
عثمان رضي الله عنه قال
على المنبر أذكر الله رجلا
سمع النبي ﷺ قال إن القرآن
أنزل على سبعة أحرف كلها

شاف كاف لما قام فقاموا
حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك
فقال وأنا أشهد معهم وأختلف
في معناه على أقوال (أحدها
(أنه من المشكل الذي لا
يدري لإشتراك الحرف وفيه
أن مجرد الإشتراك لا يستدعي
ذلك اللهم إلا أن يكون بالنظر
إلى هذا القائل (ثانيها) أن
المراد التكثير لا حقيقة العدد
وقد جروا على تكثير الأحاد
بالسبعة والعشرات بالسبعين
والمآت بسبعمئة وسر
التسبيع لا يخفى وإليه جنح
عياض وفيه مع عدم ظهور

معناه أن حديث أبي كما رواه
النسائي أن جبريل وميكائيل
أتياني فقعـد جبريل عن يميني
وميكائيل عن يساري فقال
جبريل اقرأ القرآن على حرف
فقال ميكائيل أستزده حتى بلغ
سبعة أحرف ونحوه من
الأحاديث لا سيما حديث أبي
بكرة الذي في آخره فنظرت
إلى ميكائيل فسكت فعلمت
أنه قد إنتهت العدة أقوى دليل
على إرادة الإنحصار بل في
جمع القلة نوع إشارة إلى عدم
الكثرة كما لا يخفى (ثالثها
(إن المراد بها سبع قرأت

وفيه أن ذلك لا يوجد في كلمة
واحدة إلا نادر والقول أن كلمة
تقرأ بوجه أو وجهين إلى سبع
يشكل عليه ما قريء على أكثر
اللهم إلا أن يقال ورد ذلك
مورد الغالب وفيه ما لا يخفى
حتى قال السيوطي قد ظن
كثير من القوم أن المراد بها
القرآت السبعة وهو جهل قبيح
فتدبر (رابعها) أن المراد بها
سبعة أوجه من المعاني
المتفقة على الفاظ مختلفة
نحو أقبل وتعال وهلم وعجل
وأسرع وإليه ذهب ابن عيينة
وجمع وأيد برواية حتى بلغ

سبعة أحرف قال كلها شاف
كاف ما لم تختم آية عذاب
برحمة أو رحمة بعذاب وبما
حكى أن ابن مسعود أقرأ رجلاً
(إن شجرة الزقوم طعام
الأيّيم) فقال الرجل طعام
الأيّيم فردّها عليه فلم يستقم
بها لسانه فقال أتستطيع أن
تقول الفاجر قال نعم قال
فأفعل وفيه أن ذلك كان
رخصة لعسر تلاوته بلفظ واحد
على الأميين ثم نسخ والإ
لجازت روايته بالمعنى ولذهب
التعبد بلفظه ولا تسع الخرق
ولفات كثير من الأسرار

والأحكام وهذا يستدعي نسخ
الحديث وفيه بعد بل لا قائل به
(خامسها) أن المراد بها
كيفية النطق بالتلاوة من إدغام
وإظهار وتفخيم وترقيق
وإشباع ومد وقصر وتشديد
وتخفيف وتليين وتحقيق وفيه
أن ذلك ليس من الإختلاف
الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى
واللفظ الواحد بهذه الصفات
باق على وحدته فليس فيه
حينئذ جليل فائدة (سادسها
(أن المراد سبعة أصناف
وعليه كثيرون ثم اختلفوا في
تعيينها فقل محكم ومتشابه

وناسخ ومنسوخ وخصوص
وعموم وقصص وقيل إظهار
الربوبية وإثبات الوجدانية
وتعظيم الألوهية والتعبد لله
ومجانبة الإشراك والترغيب
في الثواب والترهيب من
العقاب وقيل أمر ونهي ووعد
ووعيد وإباحة وإرشاد وإعتبار
وقيل غير ذلك والكل محتمل
بل وأضعاف أمثاله إلا أنه لا
مستند له ولا وجه للتخصيص)
سابعها (أن المراد سبع لغات
وإليه ذهب ثعلب وأبو عبيد
والأزهري وآخرون وأختاره ابن
عطية وصححه البيهقي

وأعترض بأن لغات العرب أكثر
وأجيب بأن المراد أفصحها
وهي لغة قريش وهذيل وتميم
والأزد وربيعه وهوازن وسعد
بن كبر وأستنكره ابن قتيبة
قائلا لم ينزل القرآن إلا بلغة
قريش بدليل (وما أرسلنا من
رسول إلا بلسان قومه) وعليه
يلتزم كون السبع في بطون
قريش وبه جزم أبو علي
الأهوازي وليس المراد أن كل
كلمة تقرأ على سبع لغات بل
أنها مفرقة فيه ولعل بعضها
أسعد من بعض وأكثر نصيبا
وقيل السبع في مضر خاصة

لقولِ عمر رضي الله عنه نزل
القرآن بلغة مضر وقال بعضهم
إنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة
وتيم الرباب وأسيد بن خزيمة
وقريش وقيل أنزل أولا بلسان
قريش ومن جاورهم من
الفصحاء ثم أتيح للعرب أن
تقرأه بلغاتها دفعا للمشقة
ولما كان فيهم من الحمية ولم
يقع ذلك بالتشهي بل المرعى
فيه السماع من النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وكيفية
نزول القرآن على هذه السبع
أن جبريل عليه السلام كان
يأتي رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم في كل
عرضة بحرف إلى أن تمت
قال السيوطي بعد نقل هذا
القول وذكر ماله وما عليه
وبعد هذا كله هو مردود بأن
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وهشام بن حكيم كلاهما
قرشي من لغة واحدة وقبيلة
واحدة وقد اختلفت قراءتهما
ومحال أن ينكر عليه عمر لغته
فدل على أن المراد بالأحرف
السبعة غير اللغات إنتهى
ويا ليت شعري أدعى أحد من
المسلمين أن معنى إنزال
القرآن على هذه السبع من

لغات هؤلاء العرب أنه أنزل
كيفما كان وأنهم هم الذين
هذبوه بلغاتهم ورشحوه
بكلماتهم بعد الأذن لهم بذلك
فإذا لا تختلف أهل قبيلة واحدة
في كلمة ولا يتنازع إثنان منهم
فيها أبدا أم أن الله تعالى شأنه
ظهر كلامه في مرايا هذه
اللغات على حسب ما فيها من
المزايا والنكات فنزل بها وحيه
وأداها نبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم ووعاها أصحابه
فكم صحابي هو من قبيلة
وعى كلمة نزلت بلغة قبيلة
أخرى وكلاهما من السبع

وليس له أن يغير ما وعى بل
كثيرا ما يختلف صحابيان من
قبيلة في الرواية عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وكل من روايتهما على
غير لغتهما كل ذلك إتباعا لما
أنزل الله تعالى وتسليما لما
جاء به رسول الله ﷺ وقد ينفي
صحابي غير روايته وينكر رواية
غيره وكل ذلك يدل على أن
مرجع السبع الرواية لا الدراية
فرد الإمام السيوطي لا أدري
ماذا أرد منه وما الذي أسكت
عنه فها هوبين يديك فأعمل ما
شئت فيه وسلام الله تعالى

عليك ومما ذكرناه علمت أن
القلب يميل إلى هذا السايح
فأفهم وقد حققنا بعض الكلام
في هذا المقام في كتابنا
الإجوبة العراقية عن الأسئلة
الإيرانية فأرجع إليه إن أردته
والله سبحانه وتعالى أعلم
(الفائدة السادسة) في جمع
القرآن وترتيبه أعلم أن القرآن
جمع أولا بحضرة النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم فقد
أخرج الحاكم بسند على شرط
الشيخين عن زيد بن ثابت قال
كنا عند النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم نؤلف القرآن في

الرقاع وثانيا بحضرة أبي بكر
رضي الله تعالى عنه فقد
أخرج البخاري في صحيحه عن
زيد بن ثابت أيضا قال أرسل
إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة
فإذا عمر بن الخطاب

عنده فقال أبو بكر إن عمر
أتاني فقال إن القتل قد
أستحر بقراء القرآن وإنني
أخشى أن يستحر القتل
بالقراء في المواطن فيذهب
كثير من القرآن وإنني أرى أن
تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر
كيف نفعل شيئا يفعله رسول
الله صلى الله تعالى عليه

وسلم قال عمر هذا والله خير
فلم يزل يراجعني حتى شرح
الله صدري لذلك ورأيت الذي
رأى عمر قال زيد قال أبو بكر
إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد
كنت تكتب الوحي لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
فنتبع القرآن فأجمعه فوالله لو
كلفوني نقل جبل من الجبال
ما كان أثقل علي مما أمرني
به من جمع القرآن قلت كيف
تفعلان شيئاً لم يفعله رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال هو والله خير فلم
يزل أبو بكر يراجعني حتى

شرح الله صدري للذي شرح
له صدر أبي بكر وعمر فتنبت
القرآن أجمعه من العسب
واللخاف وصدور الرجال
ووجدت آخر سورة التوبة مع
خزيمة الأنصاري لم أجدها مع
غيره (لقد جاءكم رسول)
حتى خاتمة براءة فكانت
الصحف عند أبي بكر حتى
توفاه الله تعالى ثم عند عمر
حياته ثم عند حفصة بنت عمر
وأخرج ابن أبي داود بسند
رجاله ثقات مع إنقطاع أن أبا
بكر قال لعمر وزيد مع أنه كان
حافظا أقعدا على باب

المسجد فمن جاء كما
بشاهدين على شيء من كتاب
الله فأكتباه ولعل الغرض من
الشاهدين أن يشهدا على أن
ذلك كتب بين يدي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم أو
على أنه مما عرض عليه صلى
الله تعالى عليه وسلم عام
وفاته وإنما أكتفوا في آية
التوبة بشهادة خزيمة لأن
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم جعل شهادته
بشهادة رجلين والقول بأن
المراد بالشاهدين الحفظ
والكتابة مما لا حجار له وما

شاع أن عليا كرم الله وجهه
لما توفي رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم تخلف
لجمعه فبعض طرقه ضعيف
وبعضها موضوع وما صح
فمحمول كما قيل على الجمع
في الصدر وقيل كان جمعا
بصورة أخرى لغرض آخر
ويؤيده أنه قد كتب فيه الناسخ
والمنسوخ فهو ككتاب علم
وقد أخرج ابن أبي داود بسند
حسن عن عبد خير قال
سمعت عليا يقول أعظم
الناس في المصاحف أجرا أبو
بكر رضي الله تعالى عنه

رحمة الله على أبي بكر هو
أول من جمع كتاب الله أي
على الوجه الذي تقدم فلا
ينافي ما في مختصر القرماني
أن أول من جمعه عمر رضي
الله تعالى عنه وما روى عن
أبي بريدة أنه قال أول من
جمع القرآن في مصحف سالم
مولى أبي حذيفة أقسم لا
يرتدي برداء حتى يجمعه فهو
مع غرابته وإنقطاعه محمول
على أنه أحد الجامعين بأمر
أبي بكر رضي الله تعالى عنه
قاله الإمام السيوطي وهي
عشرة منه لا يقال لصاحبها لعا

لأن سالما هذا قتل في وقعة
اليمامة كما يدل عليه كلام
الحافظ ابن حجر في إصابته
ونص عليه السيوطي نفسه
في إتقانه بعد هذا المبحث
بأوراق ولا شك أن الأمر
بالجمع وقع من الصديق بعد
تلك الوقعة وهي التي كانت
سببا له كما يدل عليه حديث
البخاري الذي قدمناه فسيحان
من لا ينسى وما أشتهر أن
جامعه عثمان فهو على ظاهره
باطل لأنه رضي الله تعالى
عنه إنما حمل الناس في سنة
خمس وعشرين على القراءة

بوجه واحد بإختيار وقع بينه
وبين من شهدده من المهاجرين
والأنصار لما خشى الفتنة من
إختلاف أهل العراق والشام
في حروف القراءات فقد روى
البخاري عن أنس أن حذيفة
بن اليمان قدم على عثمان
وكان يغازي أهل الشام في
فتح أرمينية وأرذبيجان مع أهل
العراق فأفزع حذيفة إختلافهم
في القراءة فقال لعثمان أدرك
الامة قبل أن يختلفوا إختلاف
اليهود والنصارى فأرسل إلى
حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف
ننسخها ثم نردها إليك

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان
فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن
الزبير وسعيد بن العاص
وعبدالرحمن بن الحرث بن
هشام فنسخوها في
المصاحف وقال عثمان للرهط
القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم
أنتم وزيد بن ثابت في شيء
من القرآن فآكتبوه بلسان
قريش فإنه إنما نزل بلسانهم
ففعّلوا حتى إذا نسخوا
الصحف في المصاحف رد
عثمان الصحف إلى حفصة
وأرسل إلى كل أفق بمصحف
مما نسخوا وأمر بما سواه من

القرآت في كل صحيفة أو
مصحف أن يحرق قال زيد
فقدت آية من الأحزاب حين
نسخت المصحف قد كنت
أسمع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقرأ بها
فألتمسناها فوجدناها مع
خزيمة بن ثابت الأنصاري
(من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه) ألحقناها
في سورتها في المصحف وقد
أرتضى ذلك أصحاب رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حتى أن المرتضى كرم
الله تعالى وجهه قال على ما

أخرج ابن أبي داود بسند
صحيح عن سويد بن غفلة عنه
لا تقولوا في عثمان إلا خيرا
فوالله ما فعل في المصحف
إلا عن ملأ منا وفي رواية لو
وليت لعملت بالمصحف الذي
عمله عثمان وما نقل عن ابن
مسعود أنه قال لما أحرق
مصحفه لو ملكت كما ملكوا
لصنعت بمصحفهم كما صنعوا
بمصحفي كذب كسوء معاملة
عثمان معه التي يزعمها
الشيعة حين أخذ المصحف منه
وهذا الذي ذكرناه من فعل
عثمان هو ما ذكرناه غير واحد

من المحققين حتى صرحوا
بأن عثمان لم يصنع شيئاً فيما
جمعه أبو بكر من زيادة أو
نقص أو تغيير ترتيب سوى أنه
جمع الناس على القراءة بلغة
قريش محتجا بأن القرآن نزل
بلغتهم

ويشكل عليه ما مر آنفا من
قول زيد ففقدت آية من
الأحزاب إلخ فإنه بظاهره
يستدعي أن في المصحف
العثمانية زيادة لم تكن في
هاتيك المصحف والأمر في ذلك
هين إذ مثل هذا الزيادة
اليسيرة لا توجب مغايرة يعبأ

بها ولعلها تشبه مسألة
التضاريس ولو كان هناك
غيرها لذكر وليس فليس ولا
تقدح أيضا في الجمع السابق
إذ يحتمل أن يكون سقوطها
منه من باب الغفلة وكثيرا ما
تعترى السارحين في رياض
حظائر قدس كلام رب
العالمين فيذكرهم سبحانه بما
غفلوا فيتداركون ما أغفلوا
وزيد هذا كان في الجمعين
ولعله الفرد المعول عليه في
البين لكن عراه في أولهما ما
عراه وفي ثانيها ذكره من
تكفل بحفظ الذكر فتدارك ما

نساه وبعد إنتشار هذه
المصاحف بين هذه الأمة
المحفوظة لا سيما الصدر
الأول الذي حوى من الأكابر ما
حوى وتصدر فيه للخلافة
الراشدة على المرتضى وهو
باب مدينة العلم لكل عالم
والأسد الأشد الذي لا تأخذه
في الله لومة لائم لا يبقى في
ذهن مؤمن إحتمال سقوط
شيء بعد من القرآن وإلا لوقع
الشك في كثير من ضروريات
هذا الدين الواضح البرهان
وزعمت الشيعة أن عثمان بل
أبا بكر وعمر أيضا حرفوه

وأسقطوا كثيرا من آياته
وسوره فقد روى الكليني منهم
عن هشام بن سالم عن أبي
عبدالله أن القرآن الذي جاء به
جبريل إلى محمد ﷺ

سبعة عشر ألف آية وروى
محمد بن نصر عنه أنه قال
كان (في لم يكن) أسم
سبعين رجلا من قريش
بأسمائهم وأسماء آبائهم وروى
عن سالم بن سليمان قال قرأ
رجل على أبي عبد الله أنا
أسمعه حروفا من القرآن ليس
ما يقرأها الناس فقال أبو
عبدالله مه عن هذه القراءات

وأقرأ كما يقرأ الناس حتى
يقوم القائم فإذا قام القائم
فأقرأ كتاب الله على حده
وروى عن محمد بن جهم
الهلالي وغيره عن أبي عبد الله
(أن أمة هي أرى من أمة)
ليس كلام الله بل محرف عن
موضعه والمنزل أمة هي
أزكى من أئمتكم وذكر ابن
شهر آشب المازندراني في
كتاب المثالب له أن سورة
الولاية أسقطت بتمامها وكذا
أكثر سورة الأحزاب فإنها
كانت مثل سورة الأنعام
فأسقطوا منها فضائل أهل

البيت وكذا أسقطوا لفظ ويلك
من قبل لا تحزن أن الله معنا
وعن ولاية على من بعد
وقفوهم إنهم مسئولون وبعلي
بن أبي طالب من بعد وكفى
الله المؤمنين القتال وآل
محمد من بعد وسيعلم الذين
ظلموا إلى غير ذلك فالقرآن
الذي بأيدي المسلمين اليوم
شرقا وغربا وهو لكرة الإسلام
ودائرة الأحكام مركزا أو قطبا
أشد تحريفا عند هؤلاء من
التوراة والإنجيل واضعف تأليفا
منهما وأجمع للأباطيل وأنت
تعلم أن هذا القول أو هي من

بيت العنكبوت وأنه لأوهن
البيوت ولا أراك في مرية من
حماقة مدعيه وسفاهة مفتريه
ولما تفتن بعض علمائهم لما
به جعله قولا لبعض أصحابه
قال الطبرسي في مجمع
البيان أما الزيادة فيه أي
القرآن فمجمع على بطلانها
وأما النقصان فقد روى عن
قوم من أصحابنا وقوم من
حشوية العامة والصحيح خلافه
وهو الذي نصره المرتضى
وأستوفى الكلام فيه غاية
الإستيفاء في جواب المسائل
الطرابلسيات وذكر في

مواضع أن العلم بصحة نقل
القرآن كالعلم بالبلدان
والحوادث الكبار والوقائع
العظام والكتب المشهورة
وأشعار العرب المسطورة
فإن الغاية أشدّت والمدواعي
توفرت على نقله وحراسته
وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما
ذكرناه لأن القرآن مفجر
النبوة ومأخذ العلوم الشرعية
والأحكام الدينية وعلماء
المسلمين قد بلغوا في حفظه
وحمايته الغاية حتى عرفوا كل
شيء اختلف فيه من إعرابه
وقراءته حروفه وآياته فكيف

يجوز أن يكون مغيرا أو
منقوصا مع العناية الصادقة
والضبط الشديد وقال أيضا أن
العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه
في صحة نقله كالعلم بجملته
وجرى ذلك مجرى ما علم
ضرورة من الكتب المصنفة
ككتاب سيبويه والمزني فإن
أهل العناية بهذا الشأن
يعلمون من تفصيلها ما
يعلمونه من جملتها حتى لو أن
مدخلا أدخل في كتاب سيبويه
بابا من النحو ليس من الكتاب
لعرف وميزانه ملحوق وأنه
ليس من أصل الكتاب وكذا

القول في كتاب المزني
ومعلوم أن العناية بنقل القرآن
وضبطه أصدق من العناية
بضبط كتاب سيبويه ودواوين
الشعراء وذكر أيضا أن القرآن
كان على عهد رسول الله ﷺ
مجموعا مؤلفا على ما هو
عليه الآن وأستدل على ذلك
بأن القرآن كان يدرس ويحفظ
جميعه في ذلك الزمان وأنه
كان يعرض على النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ويتلى
عليه وأن جماعة من الصحابة
مثل عبدالله بن مسعود وأبي
بن كعب وغيرهما ختموا

القرآن على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم عدة ختمات
وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على
أنه كان مجموعاً مرتباً غير
مثور ولا مبثوث وذكر أن من
خالف ذلك من الإمامية
والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن
الخلاف في ذلك مضاف إلى
قوم من أصحاب الحديث نقلوا
أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا
يرجع بمثلها عن المعلوم
المقطوع بصحته إنتهى وهو
كلام دعاه إليه ظهور فساد
مذهب أصحابه حتى للأطفال
والحمد لله على أن ظهر الحق

وكفى الله المؤمنين القتال إلا
أن الرجل قد دس في الشهد
سما وأدخل الباطل في حمى
الحق الأحمى (أما أولا) فلأن
نسبة ذلك إلى قوم من
حشوية العامة الذين يعي بهم
أهل السنة

والجماعة فهو كذب أو سوء
فهم لأنهم أجمعوا على قدم
وقوع النقص فيما تواترا قرآنا
كما هو موجود بين المدفتين
اليوم نعم أسقط زمن الصديق
ما لم يتواتر وما نسخت تلاوته
وكان يقرأه من لم يبلغه
النسخ وما لم يكن في العرصة

الأخيرة ولو يأل جهدا رضي
الله تعالى عنه في تحقيق ذلك
إلا أنه لم ينتشر نوره في
الآفاق إلا زمن ذي النورين
فلهذا نسب إليه كما روى عن
حميدة بنت يونس أن في
مصحف عائشة رضي الله عنها
(إن الله وملائكته يصلون على
النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما) وعلى
الذين يصلون الصنفوف
الأول وأن ذلك قبل أن يغير
عثمان المصاحف فما أخرج
أحمد عن أبي قال قال لي
رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم إن الله أمرني أن
أقرأ عليك فقرأ علي (لم يكن
الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى
تأتيهم البينة رسول من الله
يتلو صحفا مطهرة فيها كتب
قيمة وما تفرق الذين أوتوا
الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم
البينة) إن الدين عند الله
الحنيفية غير المشركة ولا
اليهودية ولا النصرانية ومن
يفعل ذلك فلن يكفرهوفي
رواية (ومن يعمل صالحا فلن
يكفره وما أختلف الذين أوتوا
الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم

البينة) إن الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وفارقوا الكتاب
لما جاءهم أولئك عند الله شر
البرية ما كان الناس إلا أمة
واحدة ثم ارسل الله النبيين
مبشرين ومنذرين يأمرون
الناس يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة ويعبدون الله وحده
أولئك عند الله خير البرية
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها أبدا رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي
ربه وفي رواية الحاكم فقراً
فيها ولو أن ابن آدم سأل وادياً

من مال فأعطيه يسأل ثانيا
ولو سأل ثانيا فأعطيه يسأل
ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا
التراب ويتوب الله على من
تاب وما روى عنه أيضا أنه
كتب في مصحفه سورتى
الخلع والحفد اللهم إنا نستعينك
ونسئفرك ونشئ عليك ولا
نكفرك ونخلع ونترك من
يفجرك اللهم إياك نعبد ولك
نصلي ونسجد وإليك نسعى
ونحفد نرجو رحمتك ونخشى
عذابك إن عذابك بالكفار
ملحق فهو من ذلك القبيل
ومثله كثير وعليه يحمل ما

رواه أبو عبيد عن ابن عمر قال
لا يقولن أحدكم قد أخذت
القرآن كله وما يدريه ما كله
قد ذهب منه قرآن كثير ولكن
ليقل قد أخذت منه ما ظهر
والروايات في هذا الباب أكثر
من أن تحصى إلا أنها محمولة
على ما ذكرناه وأين ذلك مما
يقوله الشيعي الجسور (ومن
لم يجعل الله له نورا فماله من
نور) وأما ثانيا فلأن قوله إن
القرآن كان على عهد رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم مجموعا مؤلفا على ما
هو عليه الآن إلخ إن أراد به أنه

مرتب الآي والسور كما هو
اليوم وأنه يقرأه من حفظه
في الصدر من الأصحاب كذلك
لكنه كان مفرقا في العسب
واللخاف فمسلم إلا أنه خلاف
الظاهر من سياق كلامه
وسباقه وإن أراد أنه كان في
العهد النبوي مقروءا كما هو
الآن لا غير وكان مرتبا
ومجموعا في مصحف واحد
غير متفرق في العسب
واللخاف فممنوع والدليل
الذي أستدل به لا يدل عليه
كما لا يخفى وبالله العجب
كيف ذكر في هذا المعرض

ختمات إبن مسعود وأبي على
النبي ﷺ وجعل ذلك من أدلة
مدعاه مع أن مروى كل منهما
يخالف مروى الآخر وكلاهما
يخالفان ما في المصحف
العثماني فالسور مثلا في
مصحفنا مائة وأربعة عشرة
بإجماع من يعتد به وقيل ثلاثة
عشرة يجعب الأنفال وبراءة
سورة واحدة وفي مصحف إبن
مسعود مائة وإثنتا عشرة
سورة لأنه لم يكتب المعوذتين
بل صح عنه أنه كان يحكهما
من المصاحف ويقول ليستأمن
كتاب الله تعالى وإنما أمر

النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم أن يتعوذ بهما
ولهذا عوذ بهما الحسن
والحسين ولم يتابعه أحد من
الصحابة على ذلك وقد صح أنه
قرأهما في الصلاة فالظاهر
أنهما غير متواترتين قرآنا عنده
والقول بأنه إنما أنكر الكتابة
وأراد بالكتاب المصحف ليتم
التأويل مستبعد جدا بل لا يصح
كما لا يخفى وفي مصحف أبي
خمسة عشرة لأنه كتب في
آخره بعد (العصر) سورتي
الخلع والحفد وجعل سورة
(الفيل وقريش) فيه سورة

واحدة وترتيب كل أيضا متغاير
ومغاير لترتيب مصحفنا لا
سترة عليها فسورة (ن) في
مصحف ابن مسعود بعد
(الذاريات) و (لا أقسم بيوم
القيامة) بعد (عم)
(والنازعات) بعد (الطلاق)
(والفجر) بعد (التحريم)
إلى غير ذلك وسورة (بني
إسرائيل) في مصحف أبي
بعد (الكهف) و (الحجرات)
بعد (ن) و (تبارك) بعد
(الحجرات) (والنازعات)
بعد (الواقعة) و (ألم نشرح
(قل هو الله أحد) مع

إختلاف كثير يظهر لمن رجع
إلى الكتب المتقنة في هذا
الباب وكأن ران البغض غطى
على قلب هذا البعض فقال ما
قال ولم يتفكر في حقيقة
الحال ولم يبال بوقع النبال
قاصدا أن يستر بمنخل مختل
كذبه نور ذي النورين الساطع
عليه من برح شمس الكونين
ومن بدر صحبه مع أن نسبة
هذا الجمع إليهما من أوضح
الأمور بل أشهر من المشهور
وهو شائع أيضا عند الشيعة
وليس لهم إلى إنكاره ذريعة
ولكن مركب التعصب عثور

ومذهب التعسف محذور وإذا
حققت ما ذكرناه ووعيت ما
عليك تلوناه فأعلم أن ترتيب
آية وسوره بتوقيف من النبي ﷺ
أما ترتيب الآي فكونه توقيفيا
مما لا شبهة فيه حتي نقل جمع
منهم الزركشي وأبو جعفر
الأجماع عليه من غير خلاف
بين المسلمين والنصوص
متظافرة على ذلك

وما يدل بظاهره من الآثار
على أنه إجتهادي معارض
ساقط عن درجة الإعتبار
كالخبر الذي أخرجه ابن أبي
داؤد بسنده عن عبدالله بن

الزبير عن أبيه قال أتى الحرث
بن خزيمة بهاتين الآيتين من
آخر سورة براءة فقال أشهد
أني سمعتهما من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
ووعيتهما فقال عمر وأنا أشهد
لقد سمعتهما ثم قال لو كانت
ثلاث آيات لجعلتها سورة على
حدة فأنظروا آخر سورة من
القرآن فالحقوها في آخرها
فإنه معارض بما لا يحصى مما
يدل على خلافه بل لابن أبي
داؤد مخرجه خبر يعارضه أيضا
فقد أخرج أيضا عن أبي أنهم
جمعوا القرآن فلما انتهوا إلى

الآية التي في سورة براءة
(ثم أنصروا صرف الله
قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون)
ظنوا أن هذا آخر ما نزل فقال
أبي أن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم أقرأني بعد
هذا آيتين (لقد جاءكم رسول
(إلى آخر السورة وأما ترتيب
الصور ففي كونه إجتهاديا أو
توقيفيا خلاف والجمهور على
الثاني قال أبو بكر الأنباري
أنزل الله تعالى القرآن كله
إلى سماء الدنيا ثم فرقه في
بضع وعشرين فكانت السورة
تنزل لأمر يحدث والآية جوابا

لمستخبر فيوقف جبريل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم
على موضع الآية والسورة
فمن أواخر فقد أفسد نظم
القرآن وقال الكرمانى بترتيب
السور هكذا هو عند الله تعالى
في اللوح المحفوظ وعليه كان
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يعرض على جبريل
كل سنة ما كان يجتمع عنده
منه وعرض عليه في السنة
التي توفي فيها مرتين وقال
الطبيبي مثله وهو المروي عن
جمع غفير إلا أنه يشكل على
هذا ما أخرجه أحمد والترمذي

وأبو داؤد والنسائي وابن حبان
والحاكم عن ابن عباس قال
قلت لعثمان ما حملكم على
أن عمدتم إلى الأنفال وهي
من المثاني وإلى براءة وهي
من المئين فقرنتم بها ولم
تكتبوا بينهما سطر بسم الله
الرحمن الرحيم ووضعتموها
في السبع الطوال فقال
عثمان كان

رسول الله ﷺ ينزل عليه السور
ذوات العدد فكان إذا نزل عليه
الشيء دعا بعض من كان
يكتب فيقول دعوا هؤلاء الآيات
في السورة التي يذكر فيها كذا

وكذا وكانت الأنفال من أوائل
ما نزل بالمدينة وكانت براءة
من آخر القرآن نزولا وكانت
قصتها شبيهة بقصتها فظننت
أنها منها فقبض رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل
ذلك قرنت بينهما ولم أكتب
بينهما سطر بسم الله الرحمن
الرحيم ووضعتهما في السبع
الطوال فهذا يدل على أن
الإجتهاد دخل في ترتيب السور
ولهذا ذهب البيهقي إلى أن
جميع السور ترتيبها توقيفي إلا
براءة والأنفال وله أنشرح

صدر الإمام السيوطي لما
ضاق ذرعا عن الجواب والذي
ينشرح له صدر هذا الفقير هو
ما أنشروا له صدور الجمع
الغفير من أن ما بين اللوحين
الآن موافق لما في الوح من
القرآن وحاشا أن يهمل صلى
الله تعالى عليه وسلم أمر
القرآن وهو نور نبوته وبرهان
شريعته فلا بد إما من التصريح
بمواضع الآي والسور وإما من
الرمز إليهم بذلك وإجماع
الصحابة في المال على هذا
الترتيب وعدولهم عما كان أولا
من بعضهم على غيره من

الأساليب وهم الذين لا تلين
قناتهم لباطل ولا يصدّهم عن
إتباع الحق لوم لائم ولا قول
قائل أقوى دليل على أنهم
وجدوا ما أفادهم علما ولم يدع
عندهم خيالا ولا وهما وعثمان
رضي الله تعالى عنه وإن لم
يقف على ما يفيدہ القطع في
براءة والأنفال وفعل ما فعل
بناء على ظنه إلا أن غيره
وقف وقبل ما فعله ولم يتوقف
وكم لعمر رضي الله تعالى
عنه موافقات لربه أدى إليها
ظنه فليكن لعثمان هذه
الموافقة التي ظفر غيره

بتحقيقها من النصوص أو
الرموز فسكت على أن ذلك
كان قبل ما فعل عثمان عند
التحقيق ولكن لما رفعت
الأقلام وجفت الصحف
وأجتمعت الكلمة في أيامه
وأقتدت المسلمون في سائر
الآفاق بإمامه نسب ذلك إليه
وقصر من دونهم عليه
والسؤال منه وجوابه ليسا
قطعيين في الدلالة على
الإستقلال لجواز أن يكون
السؤال للإستخبار عن سر
عدم المخالفة والجواب لإبدائه
على ما خطر في البال

وبالجملة بعد إجماع الأمة على
هذا المصحف لا ينبغي أن
يصاخ إلى آحاد الأخبار ولا
يشرب إلى تطلع غرائب الآثار
فأفهم ذاك والله سبحانه
وتعالى يتولى هداك (الفائدة
السابعة) في بيان وجه إعجاز
القرآن

(أعلم) أن أعجاز القرآن مما
لا مزية فيه ولا شبهة تعتريه
وأرى الإستدلال هنا عليه مما لا
يحتاج إليه والشبه صريح باب
أو طنين ذباب وألاهم بالنسبة
إلينا بيان وجه الإعجاز والكلام
فيه على سبيل الإيجاز

(فنقول) قد اختلف الناس
في ذلك فذهب بعض المعتزلة
إلى أن وجه إعجازه إشتماله
على النظم الغريب والوزن
العجيب والأسلوب المخالف
لما أستنبطه البلغاء من العرب
في مطالعه وفواصله ورد
بوجهين (الأول) أنا لا نسلم
المخالفة فإن كثيرا من آياته
على وزن أبيات العرب نحو
قوله تعالى (ومن تزكى فإنما
يتزكى لنفسه) وقوله تعالى
(ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب) ومثله كثير (الثاني

(أنا لو سلمنا المخالفة لكن لا
نسلم أنه لمجرد أنها يكون
معجزا وإلا لكانت حماقات
مسيئمة إذ هي على وزنه
كذلك وذهب الجاحظ إلى أنه
إشتماله على البلاغة التي
تتقاصر عنها سائر ضروب
البلاغات ورد بوجوه (الأول
(أنا إذا نظرنا إلى أبلغ الخطب
وأجزل الشعر وقطعنا النظر
عن الوزن وقسناه بقصار
القرآن كان الأمر في التفاوت
ملتبسا والمعجز لا بد أن ينتهي
إلى حد لا يبقى معه لبس ولا
ريبة (الثاني) إن القرآن غير

خارج عن كلام العرب وما من
أحد من بلغائهم إلا وقد كان
مقدورا له الإتيان بقليل من
مثل ذلك والقادر على البعض
قادر على الكل (الثالث) أن
الصحابة اختلفوا في البعض
ولو كان منتهيا إلى الإعجاز
بلاغة لعرفوه وما اختلفوا
(الرابع) أنهم طلبوا البيئة
ممن أتى بشيء
منه ولو كانت بلاغته منتهية
إلى حد الأعجاز ما طلبوها
(الخامس) أن في كل عصر
من تنتهي إليه البلاغة وذلك
غير موجب للأعجاز ولا للدلالة

على صدق مدعي الرسالة
لجواز أن يكون هو من إنتهت
إليه وقيل هو إشتماله على
الأخبار بالغيب ورد أما أولا
فبأن الإصابة في المرة
والمرتين ليست من الخوارق
والحد الذي يصير به الأخبار
خارقا غير مضبوط فإذا لا
يمتنع أن يقال ما أشتمل عليه
القرآن لم يصل إليه وأما ثانيا
فبأنه يلزم أن يكون أخبار
المنجمين والكهنة عن الأمور
المغيبية مع كثرة إصابتها
معجزة وأما ثالثا فبأنه يلزم أن
تكون التوراة كذلك لإشتمالها

كإشتماله وأما رابعا فبأنه يلزم
أن يكون الخالي عن الأخبار
بالغيب من القرآن غير معجز
وقيل هو كونه مع طوله
وإمتهاده غير متناقض ولا
مختلف وأبطل بوجهين (الأول
(أنا لا نسلم عدم التناقض
والإختلاف فيه أما التناقض
فقوله تعالى (وما علمناه
الشعر وما ينبغي له) والبحور
كلها فيه وقال تعالى (فلا
أنساب بينهم يومئذ ولا
يتساءلون) ثم قال (وأقبل
بعضهم على بعض يتساءلون)
وقال تعالى (وما منع الناس

أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم
سنة الأولين أو يأتيهم العذاب
قبلا) فحصر المانع في أحد
السببين وقال (وما منع الناس
أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا
أن قالوا أبعث الله بشرا
رسولا) فحصر المانع في
غيرهما إلى غير ذلك وأما
الختلاف فكقوله تعالى
(كالصوف المنفوش) بدل
(كالعهن المنفوش) وقوله
تعالى (ضربت عليهم
المسكنة والذلة) بدل قوله
الذلة والمسكنة وقوله تعالى (

النبي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)
وهو أب لهم وقوله تعالى في
خلق آدم مرة من تراب ومرة
من حمأ ومرة من طين ومرة
من صلصال على أن فيه
تكرارا لفظيا ومعنويا كما في
الرحمن وقصة موسى مثلا
وتعرضا لإيضاح الواضحات كما
في قوله تعالى (فصيام ثلاثة
أيام في الحج وسبعة إذا
رجعتم تلك عشرة كاملة)
وقال عثمان إن في القرآن
لحنا ستقيمه العرب بالسنتها)
الثاني (أنا لو سلمنا السلامة

من جميع ذلك لكنه ليس
بأعجاز إذ هو موجود في كثير
من الخطب والشعر ويظهر
كلياً فيما يكون على مقدار
بعض السور القصار بتقدير
التحدي بها وقيل هو موافقته
لقضية العقل ودقيق المعنى
ورد بأنه معتاد في أكثر كلام
البلغاء وينتقض أيضاً بكلام
الرسول الغير المعجز
وبالتوراة والإنجيل وقيل
إعجازه قدمه وأعترض بأنه
يستدعي أن يكون كل من
صفاته تعالى كذلك وايضا
الكلام القديم مما لا يمكن

الوقوف عليه فلا يتصور
التحدي به (وقال (الأستاذ أبو
إسحاق الأسفرايني والنظام
إعجازه بصرف دواعي بلغاء
العرب عن معارضته وقال
المرتضى بسلبهم العلوم التي
لا بد منها في المعارضة
وأعترض بأربعة أوجه (الأول)
أنه يستلزم أن يكون المعجز
الصرفة لا القرآن وهو خلاف
ما عليه إجماع المسلمين من
قبل (الثاني) أن التحدي وقع
بالقرآن على كل العرب فلو
كان الإعجاز بالصرفة لكانت
على خلاف المعتاد بالنسبة

إلى كل واحد ضرورة تحقق
الصرفة بالنسبة إليه فيكون
الإتيان بمثل كلام القرآن
معتادا له والمعتاد لكل ليس
هو الكلام الفصيح بل خلافه
فيلزم أن يكون القرآن كذلك
وليس كذلك

(الثالث) أنه يستلزم أن
يكون مثل القرآن معتادا من
قبل لتحقيق الصرفة من بعد
فتجوز المعارضة بما وجد من
كلامهم مثل القرآن قبلها
(الرابع) وهو خاص بمذهب
المرتضى أنه لو كان الإعجاز
بفقدهم العلوم لتناطقوا به ولو

تناطقوا لشاع إذ العدة جارية
بالتحدث بالخوارق فحيث لم
يكن دل على فساد الصرفة
بهذا الإعتبار وأستدل بعضهم
على فساد القول بها بقوله
تعالى (قل لئن أجتмعت
الإنس والجن) الآية فإنه يدل
على عجزهم مع بقاء قدرهم
ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة
لإجتتماعهم لأنه بمنزلة إجتتماع
الموتى وليس عجز الموتى
مما يحتفل بذكره ولا بأس
بإنضمامه إلى
ما ذكرناه وأما الإكتفاء به في
الإستدلال فلا أظنك ترضاه

وقال الأمدي وغيره الإعجاز
بجملته وبالنظر إلى نظمه
وبلاغته وإخباره عن الغيب
وإرتضاه الكثير وقولهم فيما
قبل لا نسلم المخالفة إلخ
يجاب عنه بأن ما ذكره وإن
كان على وزن الشعر إلا أنه لا
يعد شعرا ولا قائله شاعر لأن
الشعر ما قصد وزنه وحيث لا
قصد لا شعر وقد يعرض
للبلغاء في سرد خطبهم
المنجسة مثل ذلك بل قد
يتفق لمن لا يعرف الشعر
رأسا من العوام كلمات متزنة
نحو قول السيد لعبده مثلا

أدخل السوق وأشتر اللحم
وأطبخ ولهذا قال الوليد لما
قرأ عليه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم القرآن
فكأنما رق له فأقترح عليه أبو
جهل أن يقول فيها ما يبلغ
قومه أنه منكر له وكاره ماذا
أقول فوالله ما فيكم رجل
أعلم بالشعر مني ولا برجزه
ولا بقصيده ولا باشعار الجن
والله ما يشبه الذي يقول شيئاً
من هذا ووالله إن لقوله الذي
يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة
وإنه لمثمر أعلاه ومغدد
أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى وإنه

ليحطم ما تحته وقولهم إنا لو
سلمنا إلخ مسلم لكن لا يلزم
إن لا يكون مع البلاغة والأخبار
بالغيب معجزا ومن هنا يعلم
الجواب عن الإعتراض على أن
وجه إعجازه بلاغته على أن
الأوجه الخمسة التي ذكروها
فيه باطلة (أما الأول) فلأن
التفاوت بين لمن تحدى به من
البلغاء ولذا لم يعارض وغيرهم
عم عن ذلك لقصوره في
الصناعة فلا إعتداد به ولا
مضرة لثبوت الإعجاز بعجز
أولئك ثم قياس أقصر سورة
على ما ذكره عدول عن

سواء السبيل (وأما الثاني
(فلأن القدرة على البعض لا
تستلزم القدرة على الكل
ولهذا نجد الكثير قادرا على
بليغ فقرة أو فقرتين أو بيت أو
بيتين ولا يقدر على وضع خطبة
ولا نظم قصيدة (وأما الثالث)
فلأن الصحابة لم يختلفوا فيما
اختلفوا فيه أنه نازل على
النبي صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم من ربه أو أن
بلاغته غير معجزة ولكنهم
اختلفوا في أنه قرآن وذلك لا
يضر فيما نحن بصدده (وأما
الرابع) فلأن طلب البيئة لما

قدمناه في الفائدة السادسة
أو للوضع والترتيب كما قيل أو
لمزيد الإحتياط في الأمر
الخطير (وأما الخامس) فلأن
المعجز يظهر في كل زمان
من جنس ما يغلب ويبلغ فيه
الغاية القصوى ويوقف فيه
على الحد المعتاد حتى إذا
شاهد ما هو خارج عن الحد
علم أنه من عند الله وإلا لم
يتحقق عند القوم معجزة النبي
ولظنوا أنهم لو كانوا من أهل
تلك الصنعة أو متناهين فيها
لأمكنهم أن يأتوا بمثلها
والبلاغة قد بلغت في ذلك

العهد حدها وكان فيها فخارهم
حتى علقت السبع بباب الكعبة
تحدياً بمعارضتها فلما أتى
الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم بما عجزوا عن مثله مع
كثرة المنازعة والتشاجر
والإفتراق علم أن ذلك من عند
الله تعالى بلا ريب وإعتراضهم
على كون الإخبار بالغيب
معجزاً مكابرة فإن الإخبار عن
الغائبات مع التكرار والإصابة
غير معتاد ولا معنى لكونه
معجزاً غير هذا وما ذكروه من
الوجه باطل (أما الأول) فلأنه
لا يلزم من عدم كون الإصابة

في المرة والمرتين من
الخوارق أن لا تكون الإصابة
في الكرات الكثيرة منها
والضابط العرف ولا يخفى أن
ما ورد من أخبار الغيب في
القرآن مما يعد في نظر أهل
العرف كثيرا لا تعتاد الإصابة
فيه بحملته (وأما الثاني
(فلأن أخبار المنجمين ما كان
كاذبا منها لا إحتجاج وما كان
صادقا وتكررت الإصابة فيه
كالكسوف والخسوف غير
وارد لأنه من الحساب المعتاد
لمن يتعاطى

صناعة التنجيم وأخبار القرآن
بالغيوب ليست كذلك وأما
أخبار الكهنة فالقول فيها كما
في السحر (وأما الثالث
(فلأن ما في التوراة من
الأخبار بالغيوب إن كان كثيرا
خارقا للعادة ووقع التحدي به
فهو أيضا معجز وآية صدق
لمن أتى به ولا يضرنا إلّٰتزام
ذلك (وأما الرابع (فلأنه لا يرد
على من يقول وجه الإعجاز
مجموع ما تقدم أصلا ومن
يقول وجهه مجرد الأخبار
بالغيوب يقول بأن الخالي من
ذلك غير معجز وإنما الأعجاز

في القرآن بجملة ويكفي ذلك
في غرضه والإعتراض على
كون وجه الإعجاز عدم
التناقض والإختلاف مع الطول
والإمتداد بوجهيه مدفوع (أما
الأول) فلأن أشتمال القرآن
على الشعر قد سبق جوابه فلا
يناقض (وما علمناه الشعر)
وأما الآيتان الأوليتان فقد أجاب
عنهما ابن عباس حين سأله
رجل عن آيات من هذا القبيل
بأن نفي المسألة قبل النفخة
الثانية وإثباتها فيما بعد
والسدي بأن نفي المسألة عند
تشاغلهم بالصعق والمحاسبة

والجواز على الصراط وإثباتها
فيما عداها وابن مسعود بأن
المسألة المنفية طلب بعضهم
العفو من بعض والمثبتة على
ظاهر معناها فلا منافاة وأما
الآيتان الأخريتان فمعنى الأولى
منهما (وما منع الناس أن
يؤمنوا) إلا إرادة الله أن تأتيهم
سنة الأولين من نحو الخسف
أو يأتيهم العذاب قبلا في
الآخرة ولا شك أن إرادة الله
تعالى مانعة من وقوع ما
ينافي المراد فهذا حصر في
السبب الحقيقي ومعنى الثانية
(وما منع الناس أن يؤمنوا)

إلا إستغراب بعثة البشر رسولا
وهو مدلول القول إلتزاما
والدال لا يناسب المانع
والمدلول ليس مانعا حقيقيا
بل عادى لجواز وجود الإيمان
معه فهو حصر في المانع
العادي فلا تناقض وسيأتي لهذا
إن شاء الله تعالى زيادة
تحقيق وكذا لأمثاله مما يضيق
عنه هذا المبحث وأما الإختلاف
المذكور فليس هو المنفي في
قوله تعالى (ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه إختلافا
كثيرا) لأن المراد به أحد
أمريــــــــن الأول الإختلاف

المناقض للبلاغة والثاني
الاختلاف فيما أخبر عنه من
قصص الماضين وسير الأولين
مع أمية من جاء به وعدم
دراسته للعلوم ومطالعتة
للكتب ولا شك أنه لم يوجد
في القرآن شيء من هذه
الاختلافات على أن أمثال بعض
ما ذكر من الاختلاف ليس
بقرآن لأنه لم يتواتر وأمثال
البعض الآخر اختلاف مقال
لإختلاف الأحوال والمرجع إلى
جوهر واحد وهو التراب في
خلق آدم مثلاً ومنه تدرجت
تلك الأحوال وأي ضرر في

ذلك وأما التكرار اللفظي
والمعنوي فلا يخلو عن فائدة لا
تحصل من غير تكرار كبيان
إتساع العبارة وإظهار البلاغة
وزيادة التأكيد والمبالغة إلى
غير ذلك مما قد أمعن
المفسرون في تحقيقه وبيانه
وستراه بحوله تعالى وأما ما
يتوهم فيه أنه من قبيل إيضاح
الواضحات فليس يخلو عن
درء إحتمال ورفع خيال فإنه لو
لم يقل فيما ذكر من الآية
(تلك عشرة كاملة) لتوهم
ولو على بعد أن المراد وتمام)
سبعة إذا رجعتم) بل في ذلك

غير هذا أسرار ستأتيك بعون
باريك وأما قول عثمان أن في
القرآن لحنا إلخ فهو مشكل
جدا إذ كيف يظن بالصحابة أولا
اللحن في الكلام فضلا عن
القرآن وهم هم ثم كيف يظن
بهم ثانيا إجتماعهم على الخطأ
وكتابته ثم كيف يظن بهم ثالثا
عدم التنبه والرجوع ثم كيف
يظن بعثمان عدم تغييره
وكيف لتقييمه العرب وإذا كان
الذين تولوا جمعه لم يقيموه
وهم الخيار فكيف يقيمه
غيرهم فلعمري إن هذا مما
يستحيل عقلا وشرعا وعادة

فالحق إن ذلك لا يصح عن
عثمان والخبر ضعيف
مضطرب منقطع وقد أجابوا
عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة
نقلها والذي أراه أن رواية هذا
الخبر سمعوا شيئاً ولم يتقنوه
فحرفوه فلزم الإشكال وحل
الداء العضال وهو ما روى
بالسند عن عبد الله بن
عبد الأعلى قال لما فرغ من
المصحف أتى بعثمان فنظر
فيه فقال أحسنتم وأجملتم
أرى شيئاً سنقيمه بالسنتنا
وهذا لا إشكال فيه لأنه عرض

عليه عقيب الفراغ من كتابته
فرأى فيه ما كتب

على غير لسان قریش ثم وفى
بذلك عند العرض والتقويم ولم
يترك فيه شيئاً ولا أحسبك في
مريّة من ذلك نعم يبقى ما
روى بسند صحيح على شرط
الشيخين عن هشام بن عروة
عن أبيه قال سألت عائشة
رضي الله تعالى عنها عن لحن
القرآن عن قوله تعالى (إن
هذان لساحران) وعن قوله
(والمقيمین الصلاة والمؤتون
الزكاة) وعن قوله تعالى (إن
الذين آمنوا والذين هادوا

والصابئون) فقالت يا ابن أخي
هذا عمل الكتاب أخطأوا في
الكتاب وكذا ما روى عن سعيد
بن جبير كان يقرأ (والمقيم
الصلاة) ويقول هو لحن من
الكاتب ويجاب عن الأول بأن
معنى قولها أخطأوا أي في
إختيار الأولى من الأحرف
السبعة لجمع الناس عليه لا أن
الذي كتبوه من ذلك خطأ لا
يجوز فإن ما لا يجوز مردود
وإن طالت مدة وقوعه وهذا
الذي رأيته عائشة وكم لها من
رأي رضي الله تعالى عنها
وعن الثاني بأن معنى قوله

لحن من الكاتب لغة وقراءة له
وفي الآية قراءة أخرى
وللنحويين في توجيه هذه
القراءات كلام طويل
ستسمعه فيما بعد إن شاء الله
تعالى وأما الوجه الثاني (فلأن
من ذهب (إلى أن وجه
الأعجاز عدم التناقض
والإختلاف مع الطول والإمتداد
يقول القرآن بجملة معجز
لذلك فسلامة كثير من الخطب
والشعر من ذلك وظهور ذلك
كلياً فيما يكون على مقدار
بعض السور القصار لا يضره
شيئاً كما لا يخفى فتدبر وقد

أطال العلماء الكلام على وجه
إعجاز القرآن وأتوا بوجوه
شتى الكثير منها خواصه
وفضائله مثل الروعة التي
تلحق قلوب سامعيه وأنه لا
يمله تاليه بل يزداد حباله
بالترديد مع أن الكلام يعادي إذا
أعيد وكونه آية باقية لا تعدم ما
بقيت الدنيا مع تكفل الله
تعالى بحفظه والذي يخطر
بقلب هذا الفقير أن القرآن
بجملته وأبعاضه حتى أقصر
سورة منه معجز بالنظر إلى
نظمه وبلاغته وإخباره عن
الغيب وموافقته لقضية العقل

ودقيق المعنى وقد يظهر كلها
في آية وقد يستتر البعض
كالأخبار عن الغيب ولا ضير ولا
عيب فما يبقى كاف وفي
الغرض واف نجوم سماء كلما
أنقض كوكب بدا كوكب تأوى
إليه كواكب أما بيان كون
النظم معجزاً فلأن مراتب
تأليف الكلام على ما قيل
خمسة (الأولى) ضم الحروف
المبسوطة بعضها إلى بعض
فتحصل الكلمات الثلاث الأسم
والفعل والحرف (والثانية)
تأليف هذه الكلمات بعضها إلى
بعض فتحصل الجمل المفيدة

وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له المنشور (والثالثة) ضم ذلك إلى بعض ضما له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم (والرابعة) أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع (والخامسة) أن يحصل له مع ذلك وزن ويقال له إن قصد الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل

من ذلك نظم مخصوص
والقرآن جامع لمحاسن الجميع
بنظم مكتس أبهى حلل ومتعر
عن كل خلل ومشتمل على
خواص ما شامها سواء ومزايا
ما سامها عند أهل النقد نظم
إلا إياه من كل لفظ تكاد الأذن
تجعله ربا ويعبده القرطاس
والقلم ويؤيد ذلك أنه لا يصح
أن يقال له رسالة أو خطابة أو
سجع كما يصح أن يقال هو
كلام والبليغ إذا قرع سمعه
فصل بينه وبين ما عداه من
النظم بلا ترديد وهذا مما لا
خفاء فيه على الرجال حتى

على الوليد وأما بيان ذلك في
البلاغة فهو أن أجناس الكلام
مختلفة ومراتبها في البيان
متفاوتة فمنها البليغ الرصين
الجزل ومنها الفصيح القريب
السهل ومنها الجاري الطلق
الرسال وهذه أقسام الكلام
الفاضل المحمود فالأول أعلاها
والثاني أوسطها والثالث أدناها
وأقربها وقد حازت بلاغة
القرآن من كل قسم من هذه
الأقسام أو فرصة وأخذت من
كل نوع أعظم شعبة فانتظم
لها

بانتظام هذه الأوصاف نمط
من الكلام يجمع صفتي
الفخامة والعذوبة وهما
كالمتضادين فكان اجتماع
الأمرين فيه مع نبو كل منهما
عن الآخر فضيلة ومنزلة جليلة
وقد خص بذلك القرآن كما لا
يخفى على ذوي الفطر
السليمة ومن كان له في علم
البلاغة إتقان وأما بيان إعجاز
إشتماله على الأخبار بالغيب
فلأنه تضمن ما يحكم العرف
بكثيرته من أخبار القرون
الماضية والأمم البادية
والشرائع الدائرة مما كان لا

يعلم منه القصة الواحدة إلا
الفذ من أحبار أهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك
وتتبعه فيورده القرآن على
وجهه ويأتي به على نصه ومن
المعلوم أن من أتى به أمي لا
يقرأ ولا يكتب صلى الله تعالى
عليه وسلم مع الأعلام بما في
ضمائر كثيرين من غير أن
يظهر ذلك منهم بقول أو فعل
كقوله تعالى (إذ هممت
طائفتان منكم أن تفشلا)
وقوله تعالى (ويقولون في
أنفسهم لولا يعذبنا الله)
والأعلان بالحوادث المستقبلة

في الأعصار الآتية كقوله تعالى
(ألم غلبت المروم في أدنى
الأرض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين)
وأخبار أقوام في قضايا أنهم لا
يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا
كقوله تعالى خطابا لليهود
(فتمنوا الموت إن كنتم
صادقين ولن يتمنوه أبدا) فما
تمناه أحد منهم إلى أضعاف
مضاعفة من مثل ذلك قد
اشتمل القرآن عليها وأختص
من بين الكتب بها حتى أن
أقصر سورة فيه وهي الكوثر
تشير إلى أربعة أخبار عن

الغيب مع أنها ثلاث آيات
(الأول) في قوله تعالى (إنا
أعطيناك الكوثر) إذا أريد به
كما في بعض الروايات كثرة
الاتباع (والثاني) في قوله
(وأنحر) حيث أريد به كما هو
الظاهر الأمر بالنحو فهو إشارة
إلى اليسار حتى يمكنه الأقدام
عليه (والثالث والرابع) في
قوله تعالى (إن شأنك هو
الأبتر) حيث صرح ورمز بأن
شأنك لا أنت أبتر لا عقب له
فكان كما أخبر ولا شك عند
كل عاقل أن مجموع ما ذكرنا
يعجز عنه البشر وأما إعجاز

موافقته لقضية العقل ودقيق
المعنى فلأنه أشتمل على
توحيد الله تعالى وتنزيهه
والدعاء إلى طاعته وبيان
طرق عبادته من تحليل
وتحريم ووعظ وتعليم وأمر
بمعروف ونهي عن منكر
 وإشارة إلى محاسن الأخلاق
 وزجر عن مساوئها واضعا كل
 شيء منها موضعه الذي لا يرى
 أولى منه ولا أليق ولا يتصور
 أخرى من ذاك ولا أخلق جامعاً
 بين الحجة والمحتج له والدليل
 والمدلول عليه ليكون ذلك
 أوكد للزوم ما دعا إليه وإمثال

ما أمر به وإجتنب ما نهى عنه
مع إشارة أنيقة ورموز دقيقة
وأسرار جزيلة وحكم جليلة
ستقف إن شاء الله تعالى على
الكثير منها بحيث لا تبقى في
شك من رد من يقول بأن ذلك
معتاد في أكثر كلام البلغاء وأنه
ينتقص بالتوراة والأنجيل
وبكلام الرسول الغير المعجز
فأين الثريا من يد المتناول وما
كل مخضوب البنان بثينة ولا
كل مصقول الحديد يمانى
فهذه الأوجه الأربعة هي
الظاهرة في إعجاز القرآن
والمشهور عند الجمهور

الأقتصار على بلاغته وفصاحته
حيث بلغت الرتبة العليا والغاية
القصوى التي لم تكد تخفي
على أهل هذا الشأن حتى
النساء كما يحكى أن الأصمعي
وقف متعجبا من امرأة تنشد
شعرا فقالت أتعجب من هذا
أين أنت من قوله تعالى
(وأوحينا إلى أم موسى أن
أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه
في اليم ولا تخافي ولا تحزني
إنا رادوه إليك وجاعلوه من
المرسلين) فقد جمع أمرين
ونهيين وبشارتين أي مع ما فيه
مما يدرك بالذوق وبعضهم

جعل المدار النظم المخصوص
والباقي تابع له قائلًا إن
الأعجاز المتعلقة بالفصاحة
والبلاغة لا يتعلق بعنصره الذي
هو اللفظ والمعنى فإن
الألفاظ أفاضلهم كما قال
تعالى (قرآنًا عربيًا بلسان
عربي) ولا بمعانيه فإن كثيرا
منها موجود في الكتب
المتقدمة كما قال تعالى
(وإنه لفى زبر الأولين) وما
فيه من المعارف الإلهية وبيان
المبدأ والمعاد والأخبار بالغيب
فأعجازه ليس برافع إلى
القرآن من حيث هو قرآن بل

لكونه حاصلًا من غير سبق
تعليم وتعلم ولكون الأخبار
بالغيب إخبارًا بما لا يعتاد سواء
كان بهذا النظم أو بغيره موردًا
بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة
أو إشارة فإذا هو متعلق
بالنظم المخصوص الذي هو
صورة القرآن وبإختلاف الصور
يختلف حكم الشيء وأسمه لا
بعنصره كالخاتم والقرط
والسوار إذا كان الكل من
ذهب مثلاً فإن الأسم مختلف
والعنصر واحد وكالخاتم
المتخذ من ذهب وفضة وحديد
يسمى خاتماً والعنصر مختلف

فظهر أن الأعجاز المختص
بالقرآن متعلق بنظمه
المختصوص وإعجاز نظمه قد
سلف بيانه وأنت تعلم ما فيه
وإن كان قريبا إلى الحق وأبعد
الأقوال عندي كونه بالصرفه
المحصنة حتى أن قول
المرتضى فيها غير مرتضى
كما لا يخفى على من أنصفه
ذهنه وأتسع عطنه وأبعد من
ذلك كونه بالقدم كما هو قريب
ممن هو حديث عهد بما تقدم
وسياتي إن شاء الله تعالى
تتمه لهذا الكلام من بيان
إختلاف الناس أيضا في تفاوت

مراتب الفصاحة والبلاغة في
آياته ويتضح لك ما هو الحق
الحقيقي بالقبول والله تعالى
المبتغي والمسئول ولنقتصر
من الفوائد على هذا المقدار
وفي السبعة ما لا يحصى من
الأسرار وهذا أوان تقبيل شفاه
الأقلام حروف سبحان كلام
الله تعالى العلام